مناهج كتابة التاريخ الإسلامي

بين المؤرخين المسلمين والمستشرقين

**إعداد:**

**دكتور/ الريح حمد النيل الليث**

**جامعة النيلين – السودان**

elraieh@hotmail.hotmail.com

مستخلص:-

تحكمت النظرة الاستعلائية التي اتخذها الغرب منهجاً في تعامله مع الشرق، في تعامل المستشرقين مع الإسلام والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وسيرته العطرة والتاريخ الإسلامي، فانقسموا إلى فرقتين مختلفتين في الظاهر متفقتين في الباطن، الأولى مجاهرة متعصبة، والثانية متوارية متحاملة. فما لبثوا أن انبرى لهم علماء المسلمين بمنهج قويم مصدره كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، توثيقاً وتثبتاً وتثبيتاً، فكشفوا نوايا المستشرقين وأظهروهم على حقيقتهم بالحجة والمنطق والبرهان، معترفين بما لهم فضل وبما بذلوه من جهد في خدمة التراث العلمي الإسلامي، منبهين إلى بعد معظم المستشرقين عن العلمية والمنهجية رغم ما ادعوه من موضوعية كان القصد منها ستر ما انكشف من تحريف وتزييف ودس على الإسلام وتشويه لوجهه المشرق الوضاء.

مناهج المسلمين في كتابة التاريخ:-

يرتبط الحديث عن مناهج المسلمين في كتابة التاريخ الإسلامي بالحديث عن تدوين التاريخ والهدف منه، فمن المعلوم أن تقصى الرواة الحديثين أدى الى نشؤ أحد فروع التاريخ عند العرب، وهو تراجم الأشخاص وطبقاتهم، كما مهدت العلوم الحديثة لنشأة علم التاريخ نفسه على نحو إجمالي مبتدئا بتدوين السير والمغازي النبوية بحسب إتباع منهج الإسناد القائم على منهج الجرح والتعديل ولذا فإنه يمكننا القول بأن علم التاريخ قد نشأ وترعرع في أحضان علوم الحديث، حيث استعار علم التاريخ من علم الحديث أداه نقدية عملية استخدمت في تنقية وغربلة الأخبار التاريخية منذ أن اهتم العرب بتدوين هذه الأخبار عند منتصف القرن الثاني للهجرة. وكان الهدف من تدوين التاريخ عند المسلمين، في البداية، يرتبط قبل كل شيء بمقتضيات ومتطلبات دينية صرفة.[[1]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314#_ftn1)

وفي ارتباط التاريخ الإسلامي بالحديث النبوي الشريف كما نرى حصانةٌ له ووقاية من عبث العابثين وضلال المضللين على مر الدهور والسنين، وقدرة على الاستمرار رغم ما يحاك ضده من مكايد ويهدده من أخطار، فُسنّة الله في كونه ماضية وُسنّة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) واقية وحامية لما حواه سجل تاريخ الإسلام حاضراً وفي العصور الخالية.

صور الكتابة التاريخية :-

أكثر المؤرخون المسلمون من صور الكتابة التاريخية نذكر منها على سبيل المثال تواريخ العالم الثلاثة التي سبقها كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (مطلع القرن الثالث الهجري) وأولها تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (284هـ) الذي وضع منهجه على أساس التعاقب الزمني للشخصيات، وجمع أحياناً عدة أحداث في سنة واحدة. وثانيها :تاريخ الأمم والملوك – للطبري وهو عند كثير من المؤرخين أعظم أهمية من كتاب اليعقوبي. وقد أسبغ الطبري على كتابه تدقيق المتكلمين وعطاءهم ومناهجهم واتبع في تنظيمه الترتيب الزمني، وسار على منهج الحوليات وثالثها وأعظمها تاريخية من مؤلف المسعودي : "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وهو كتاب أدبي يبحث في تاريخ الخليقة. والكتب الثلاثة تعتبر نماذج للتاريخ الإسلامي العالمي في ذلك الحين (نهاية القرن الرابع الهجري).

وقد شهد أوائل القرن الخامس الهجري توقفاً نسبياً لفترة التجربة التاريخية التي تم سد فراغها بتاريخ عالمي في اللغة العربية وهو كتاب "المنتظم" لابن الجوزي الذي أدخل فيه تقسيماً فاصلاً بين الحوادث والوفيات، وهو يشتمل على جميع الأخبار المطلوبة لمن يفتقدون الوقت أو الصبر على دراسة المصادر الأولى منها كتاب"شرور العقود" الذي لخص فيه كتابه" المنتظم[[2]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314#_ftn2).

ولم يلبث المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني الهجري أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد إخباري، أي ناقل للخبر إلى الكتابة. والمتأمل في هذا يدرك لأول وهلة دوافع المستشرقين الرامية إلى التقليل من شأن الشرق والشرقيين، وأعظمها دافعاً الحسد الذي أيقظ المستشرقين من سباتهم العميق على ضوء علوم الشرق وأنوار علمائه الذين أضاءوا دياجير ظلمات جهل الغرب بشتى صنوف العلوم والمعارف المرسلة التي تعنى بالخبر في ذاته ومناقشته. وكانت النتيجة هي مدرسة الإمام الطبري ومن سبقه من المؤرخين الذين كانوا يهتمون اهتماماً خاصاً بالإسناد وتسلسل الرواة إلى الاكتفاء بإيراد الأَخبار غير المسندة إلى أصحابها.[[3]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn3) أي ظهور مؤرخين ابتعدوا بالرواية التاريخية عن رواية الحديث النبوي الشريف؛ منهم اليعقوبي (ت 284هـ) والمسعودي علي بن الحسين بن علب (364هـ) اللذان اكتفيا بذكر المادة التاريخية في مقدمات الكتب، دراسة نقدية في بعض الأحيان كما فعل المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب. ولم يكن ما حدث تطوراً في طريقة الكتابة فقط بل كان تطوراً في أسلوب الكتابة الذي أصبح بسيطاً مرسلاً وواضحاً في آن واحد يكاد معظمه يخلو من الشعر مع استخدام السجع بدلاً من أسلوب الجمل القصيرة الجافة التي لا ترتبط فيما بينها بصلة[[4]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn4) .

وهنا أيضاً كما نلاحظ ابتعاد عن الالتزام بالأسلوب التاريخي البحت إلى الأسلوب الأدبي باستخدام أسلوب بسيط سهل تتجنب فيه الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة والاهتمام بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة تغني القارئ عن التفريق بين المؤرخ والأديب وبين التاريخ واللغة العربية وهو ما يفرض على المؤرخ أن يكون لغوياً عارفاً بالأدب الذي يضفي سهولة وسلاسة على أسلوب الكتابة التاريخية الذي لم يعد هضمه متيسراً بسبب ما فيه من مادة جافة.

وبجانب هذا الأسلوب وجد من المؤرخين من سلك طريقاً آخر في الكتابة التاريخية وذلك باستخدام أسلوب بسيط سهل يهتم بإبراز المادة التاريخية بعبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة يستسيغها القارئ، من هؤلاء ابن الأثير وإبن طبطابا وابن حيان، وينفرد ابن الأثير عن غيره من المؤرخين بأسلوب بسيط واضح لايجاريه فيه أحد ممن كتب قبله أو بعده. وكثيراً ما يدخل في كتاباته عبارات أقرب إلى الأمثال[[5]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn5).

وفي أسلوب ابن الأثير نقلة أخرى في طريق تطور الكتابة التاريخية فاستخدام المثل يختصر المطول ويمنع الخلل ويكشف عن الأدواء والعلل ويبعد عن السأم والملل. أما ابن طبطابا فنجده يلتزم أسلوباً خاصاً به لم يتقيد فيه بروايات الأخباريين السابقين عليه، فهو يعرض مادته التاريخية في وضوح وبساطة وإيجاز.[[6]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn6) ويظهر ذلك في تناوله لحادثة مقتل الحسين وحادثة واقعة الحرة في عهد خلافة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، فهو يقول عن مقتل الحسين :"هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعا، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشاً منها، . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسيئ والتمثيل ما تشقعر له الجلود. [[7]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn7)

ورغم الجهود التي بذلها المؤرخون المسلمون في القرون الأولى للهجرة من أجل أسلوب متميز للكتابة التاريخية يمتاز بالرصانة والمتانة والمرونة والسلاسة، غير أن كتابات المؤرخين المتأخرين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين شهدت شيوع أساليب عامية، مثل : ابن إياس في كتابه :"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " وابن الفرات (907هـ) في كتابه "تاريخ الدول والملوك. [[8]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn8)

مناهج المسلمين في كتابة التاريخ الإسلامي

التزم المؤرخون العرب (المسلمون) بالرغم من تعدد صور الكتابة التاريخية بينهم، منهجين في كتاباتهم التاريخية. الأول: منهج التاريخ الحولي أو التاريخ حسب السنين، والثاني: المنهج الموضوعي أو منهج التاريخ حسب الموضوعات. أما منهج التاريخ الحولي فهو منهج يقوم على تجميع ما اختلف من الحوادث في كل سنة والربط بينها بكلمة "وفيها" أي في السنة من أول حدث وقع فيها إلى آخر يوم منها، حتى إذا انتهت حوادثها، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية، وذلك باستخدام جملة بدلاً عن كلمة "ثم دخلت سنة كذا" أو "جاء في سنة كذا".[[9]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn9)

وما يجب التنبيه له في هذا المنهج هو أن السُّنة هي التي تتحكم في الحوادث وليس الحوادث هي التي تتحكم في السُّنة كما يجب، ولذلك فإن السُّنة تشمل الحوادث المنتهية وليس كل الحوادث الممتدة، فالمؤرخ الحولي لا يذكر من سياق الحادثة التاريخية إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها، وفي هذا عيب لا يخفى يتمثل في تمزيق سياق الحادثة التاريخية الطويلة.وقد قوبل هذا المنهج بالنقد من قبل مؤرخين مسلمين أشهرهم ابن الأثير (555 – 630هـ) الذي حاول بقدر المستطاع تجنب الوقوع فيما وقع فيه المؤرخون الحوليون فقام بجمع عناصر الحالة التي تتصل إلى عدد من السنين واصلا بين أجزائها في سنة معينة وفي موضع واحد حتى تبرز القيمة الخبرية للحادثة، لكنه مع ذلك لم يستطع في جميع الأحوال أن يطبق هذه الطريقة دائماً[[10]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn10)، إلا أنه وفق في تيسير مهمة القارئ وذلك لوضعه للأحداث في عناوين تعلن عن مضمونها[[11]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn11)، أيضا قام بنقد المنهج الحولى الكاتب الكبير النويري (732هـ) باتخاذه المنهج الموضوعي كاتباً في تاريخ الدول دولة فدولة، فلا ينتقل من الحديث عن تاريخ دولة إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة، متبعاً في نفس الوقت المنهج الحولي في ذكر أحداثها[[12]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn12) مقسماً التاريخ الإسلامي إلى دول مبتدئاً بالسيرة النبوية.[[13]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn13)

إلا أن أول مؤرخ وصل تاريخه مرتباً على السنين هو عمدة مؤرخي العرب الإمام الطبري الذي ذاعت شهرته بتفسيره للقرآن الكريم المعروف بتاريخ الطبري، وبكتابه التاريخي العظيم" تاريخ الرسل والملوك" أقدم مصدر كامل للتاريخ العربي رتبت حوادثه وفقا للمنهج الحولي من الهجرة إلى سنة 302هـ واتبعت في روايته طريقة الإسناد بإسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقاً للأخبار التي يرويها لا يفضل رواية على رواية مكتفياً بعرض الروايات فيقف بذلك موقفاً حيادياً وهو في هذا يشبه من المؤرخين السابقين: عبدالرحمن بن عبدالحكم (ت 257) وأحمد بن جابر البلاذري، أبوالحسن أحمد بن يحيى (ت 279هـ) الذي تأثر بما دونه الواقدي والمدائني وغيرهما في الفتوح.[[14]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn14)وقد اعتمد على الطبري من المؤرخين ممن جاء بعده مكسويه، وابن الأثير والذهبي وغيرهم.[[15]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn15)

ولأن منهج المستشرقين قام على التشكيك في كل ماهو إسلامي وفيما سبقهم فقد بادر "روزنثال" إلى الشك في أن الطبري هو أول من طبّق الصور الحولية على الكتابة التاريخية وذلك لكبر حجم كتابه من جهة، ولوصول أخبار تشير إلى استعمال المؤرخين الأوائل لصورة الحوليات قبل الطبري، إذ إن الكتابة التاريخية على المنهج الحولي كانت معروفة في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري[[16]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn16)، كما أن فكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولي أو وفق السنين في رأيه ليست ابتكاراً لمؤرخي العرب، فقد كانت معروفة في الكتب الإغريقية وأنها انتقلت إلى مؤرخي العرب الأولين عن طريق اتصالهم بأُولي العلم من السريان المسيحيين أولا ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة.[[17]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn17)

ولكنه رغم اعتقاده بأن مؤرخي العرب قد استلهموا طريقة التاريخ الحولي من مؤرخي الإغريق والسريان، فهو يعترف بإن الكتابة الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخي العرب، وإنها اقتصرت على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافية والكيمياء والطب والحشائش والعقاقير، وأن العرب أبدعوا في هذه الطريقة وطوروها، فها هو ذا روزنثال يتناقض مع نفسه ويرد عليها بنفسه مرسّخا النظرة الاستعلائية من جانب الغرب إلى الشرق من خلال اعترافه الصريح بأن المنهج الإغريقي السرياني الحولي لم يكن له تأثير على مؤرخي العرب، وبالتالي ينفي ماذكره من أخذ العرب للمنهج الحولي من الإغريق والسريان ويثبت للإمام للطبري حق السبق في هذا المنهج عن طريق نفي الاستلهام والاقتباس في غياب المؤثر، ووصف العرب بالإبداع والتطور الذي يقابله التخلف في الغرب، ومع الإقرار بأن التاريخ العربي لم يأخذ منهجه الحولي عن الغرب، فهذا يعكس مدى الأزمة الأخلاقية التي يعيشها المستشرقون الغربيون تجاه كل ماهو إسلامي، فعندما لا يجدون من يهتم بأمرهم يقومون بالرد على أنفسهم فيفتضح أمرهم وتتكشف أباطيلهم.

فروزنثان هاله أن يصدر عمل ضخم من مؤرخ عربي فلم يجد بداً من الشك ولكنه في ذكره من سبق الطبري لهذا المنهج كان يبحث عن مؤرخ غربي ينسبه له فلما لم يجد من هو في مقام الطبري نسبة إلى منهج الإغريق والسريان، وليس إلى مؤرخ إغريقي أو سرياني وفي هذا إثبات لسبق الطبري وعلو كعبه في هذا المنهج ..

ولأن "روزنثال" يشك فان الأستاذ عبدالحميد العبادى لا يشك في أن توقيت الأحداث بالسنين والشهور والأيام ضابط إنفرد به مؤرخو المسلمين من اليونان والرومان وأوروبا في العصور الوسطى.[[18]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn18)وفي مقابل شك "روزنثال" تؤكد الدكتورة سيده كاشف أن الكتابة التاريخية السريانية لم يكن لها قط تأثير على المؤرخين المسلمين على الرغم من قيام مدارسهم في "الرها" و"نصيبين" و"جنديسابور" بممارسة نشاطها العلمي في الترجمة عن طريق الإغريق، وأن التأثير الذي نلمسه عند بعض المؤرخين المسلمين القدماء إنما كان في كتب التاريخ الفارسية فيما يختص بالتاريخ الإيراني القديم.[[19]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn19)

وفي العصور الإسلامية المتأخرة طرأ تطور على كتابة التاريخ الحولي بإحساس المؤرخين المسلمين بالحاجة إلى ترتيب إضافي للمادة التاريخية في وحدات زمنية أوسع، بإدخال التقسيم الفرعي للحوادث بتتبع نظام العقود من السنة الأولى إلى السنة العاشرة كما فعل المؤرخ الإسلامي الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (673-748هـ) في كتابه الكبير "تاريخ الإسلام" غير أنه استمد نظام العقود في تاريخه من تاريـخ السيرة رابطاً بذلك بين أدب الطبقات والتراجم،[[20]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn20) الذي ترجع اليه أصول التقسيم حسب القرون ككتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني ومثلة من الكتب. وهي إما مرتبة حسب السنين أو حسب حروف الهجاء. وقد تفنن علماء المسلمين في الكتابة التاريخية فتعددت مناهجهم وتنوعت لتاريخهم الإسلامي الذي كانت معرفته عند المسلمين تنساب من أعلى طبقات المجتمع إلى جميع طبقات الموظفين والعلماء ومن كانوا يريدون لأنفسهم من الثقافة نصيبا. وكان المنهج العلمي في تدوين التاريخ الذي بدأه السخاوي بتأليفه لكتاب "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" وقد كتب للدفاع عن التاريخ كموضوع ثقافي يساعد في مناهج الدراسة الدينية. وقد رأى روزنثال أن الكتاب يمثل منهج رجل مفعم بالحماس لجمع التفاصيل. وهو يمثل نهاية حقبة عظيمة من البحث عن معضلات كتابة التاريخ الإسلامي. وهو يمثل أيضاً عرضاً شاملاً ورائعاً لعلم التاريخ الإسلامي. [[21]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn21)

ويجئ منهج المعاينة والمشاهدة ليؤكد بما لايدع مجالا للشك أن المؤرخين المسلمين قد سلكوا جادة الطريق والتزموا التثبت والتيقن في تتبعهم الحوادث وذكرها مهما كلفهم ذلك، فمحمد بن عمر الواقدي المؤرخ الذي سارت لذكره الركبان، لم يمنعه مابلغه من مكانة وحازه من شهرة من البحث المضني عن أصح المصادر وأصدقها وأوثقها لما يكتب حتى كان يقول (ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلا سألتهم، هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده..؟ وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه .." ) فالمعاينة تدل على منهج سليم من مناهج كتابة التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأولين، تمتزج فيه المعاينة بالمعرفة وتتكون من ذلك الحقيقة التاريخية التي ينشدها. [[22]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn22)

ولأن المؤرخين المسلمين كانوا يظهرون تقديراً خاصاً للوثائق ذات القيمة التاريخية فقد أفردوا لها منهجاً وهو منهج استخدام الوثائق والنقوش والنقود، قتضمنت كتب التاريخ الكثير من الوثائق التي وردت في شكل آداب السلطان خاصة ما كان من نوع الخطابات الدينية الزهدية. وتجدر الاشارة إلى أن المؤرخين المسلمين استخدموا نقوشاً تاريخية دقيقة، وخاصة مما كتب بالعربية، وقد أورد بعضاً منها بعض مؤلفي التواريخ العامة. كما عرف المؤرخون المسلمون النقود كمصدر من المصادر التاريخية ورووا أخبار الكشف عنها[[23]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn23) .

منهج النظرة الكلية للتاريخ

ولعل طريقة المنهج الحولي التي سار عليها أوائل المؤرخين المسلمين هي التي حالت بينهم وبين الربط الكلي لوقائع التاريخ، فغابت عنهم النظرة الكلية لجوهر التاريخ، حتى جاء ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (732 -808) فكشف في مقدمته الرائعة عن نظرة كلية للتاريخ، وإدراك عميق لجوهره حتى عدّه مؤرخو أوربا في العصر الحديث " شيخ مؤرخي المسلمين"، وهي نظرة إن غفل عنها مؤرخو المسلمين قبل ابن خلدون فإن التاريخ الأوربي غفل عنها حتى عصر الاستنارة أو ما يعرف بالنهضة. وكانت مآثر ابن خلدون على علم التاريخ إنه حمل الواقعة من اطارها الجزئي إلى إطارها الكلي، ومن غمار الواقعة إلى إطار المكان والزمان.[[24]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn24)

مناهج المستشرقين في كتابة التاريخ الإسلامي

والنزعة العنصرية تبدو واضحةفى تعريف الاستشراق بكل أنواعه، سواء الشرق الاكاديمي في الإعمال والمؤلفات (الأدبية والشعرية) التي تكتب عن الشرق أو في المؤسسات السياسية والاستعمارية التي يتعامل الغرب من خلالها مع الشرق. [[25]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn25) وفي حديثه عن المستشرقين وكتابة التاريخ الإسلامي يذكر د. جلال العطية أن الاستشراق كفكر يقع بين فكرتين أساسيتين كونهما الغرب عن الشرق؛ الأولى هي الملامح التي رسمها الأوربيون عن الشرق من خلال الأحقاد الدينية الإقليمية، وقد لعبت الاحتكاكات العسكرية دوراً في رسم هذه الملامح، والثانية الصور التي رسمتها أقلام مجموعة من المفكريين والأدباء الغربيين، فضلا عن مساهمة الإعلام الغربي في هذه الصور.[[26]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn26)

ومما ذكر فليس من الحكمة حصر الاستشراق في الإطار الأكاديمي فقط هو أمر لا يخلو من خطر داهم إذا ما أحسن المستشرقون استغلاله ووظّفوه خدمة لاغراضهم الدنيئة وعلاجاً لنفوسهم المريضة بحقن المزيد من سمومهم في جسد الأمة الذي لم يسلم جزءاً منه من الإصابة بأمراض الاستشراق. فليس شرطاً أن يكون الاستشراق دراسات أكاديمية وإن بدت في ظاهرها كذلك، وفي باطنها دراسات سياسية استعمارية. فظاهرة الاستشرق ترتبط ارتباطاً عضوياً بظاهرة الاستعمار فحيث يكون الاستعمار يكون الاستشراق، وحين يتوسع الاستعمار يتوسع الاستشراق، فالاستعمار يصاحب دائما الاستشراق، والتوسع الاستشراقي يصحبة دائماً التوسع الاستعماري.[[27]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn27)

ومن هذا نري أن أصل الاستشراق استعمار وعليه فإن أول مولود شرعي للاستعمار هو الاستشراق، لذا فمن الغريب حقاً أن رحيل الأب (الاستعمار)، لم يصاحبه رحيل الابن (الاستشراق) الذي ظل ينمو ويترعرع ويقوى عوده تحت مسمى الدراسات الأكاديمية من أجل رفاهية الشعوب المستعمرة وتطورها ورقيها، فيجد القبول والرضا، من فريق من المسلمين صرفهم الإعجاب بنشاط المستشرقين العلمي في بلادهم عن حقيقة الاستشراق وأهميته، فيتناول من أمور المسلمين ما لا يتناولونه هم أنفسهم، وينشر من تراثهم ما كان ينبغي أن يقوموا هم بنشره وتحقيقه، ومن ثم يكبر فيهم جلدهم وصبرهم ودقتهم في البحث، فيروح يتتلمذ عليهم، فينقل عنهم ويأخذ عنهم مفاهيم دينه.[[28]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn28)

ويتحقق بهذا هدفاً رئيساً للاستشراق وهو صرف المسلمين عن دينهم كما يقول زويمر: (لا ينبغي أن يغضب المبشرون حين يرون نتيجة جهودهم ضعيفة. إن مهمتنا الأولى ليست هي تنصير المسلمين ..وإنما هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وفي هذا نجحنا نجاحاً باهرا بكل تأكيد..).[[29]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn29)

ومبلغ النجاح هو ما لخّصه الشيخ محمد قطب بقوله: (إن حركة الاستشراق أخطر بكثير مما تبدو "للطيبين" الذين يرون ألا خطر منها على نفوس المسلمين، ما دام أن أحداً لم يهمد أو ينتصب حين يقرأ ما يكتبه المستشرقون).[[30]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn30) والحقيقة الجلية التي لا تخطئها العين هي أن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة، وخاصة طبيعية على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين .[[31]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn31)

فالأمر الواضح أن الاستشراق تعبير انفعالي كتابي عن روح الهزيمة التي لحقت بأوروبا في الحروب الصليبية التي أفرزت حقدا دفينا على دين الإسلام ونبيّه والمسلمين.

والأكثر وضوحا أن دراسة مناهج المستشرقين تحتاج إلى بحث مستقل لا يمكن لمادة تكتب في موسوعة علمية أن تتناوله، ولكننا نشير إلى أن الاستشراق نال حظاً جيداً من الدراسة في الجامعات العربية والإسلامية ومن قبل بعض الباحثين المسلمين. ونذكر إن من أهم هذه الكتابات بدأ به الدكتور مصطفى السباعي كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) حيث ناقش منهج المستشرقين في دراسة السنة النبوية الشريفة.وتلت ذلك دراسات أبرزها ما كتبه الدكتور محمود حمدي زقزوق. وكذلك ما أصدره مكتب التربية العربي بالتعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي1405 (مجلدين) بعنوان (مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية)، وهناك دراسات كثيرة لمناهج المستشرقين في بحوث الاستشراق في كلية الدعوة بالمدينة المنورة. وقد تنوعت مناهج المستشرقين بتنوع مدارسهم والعصر الذي كتبوا فيه، ففي بدايات الاستشراق كان المنهج السائد هو المنهج القائم على الجدل والتعصب والحقد .ولعل هذه الروح العصبية الحاقدة استمرت مع عدد من المستشرقين حتى الوقت الحاضر. وهناك من المستشرقين من تظاهر بالموضوعية في دراسة الدين الإسلامي، ولكنه كان يخفي ذلك تحت ستار الموضوعية واستخدام منهج الإسقاط في دراسة الدين الإسلامي. فمن أهم شروط الموضوعية احترام مسلمات الدين الإسلامي وثوابته.

المستشرقون وكتابة التاريخ الإسلامي

التاريخ الإسلامي فرع أساسي من فروع الدراسات الإسلامية وله صلة وثيقة بالعلوم الدينية كالحديث والفقه وغيرهما[[32]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn32)فالقرآن هو المصدر الأول لدراسة علم التاريخ عند العرب، ويليه الحديث والسنة، وكانت بداية التأليف العلمي وثيقة الصلة بهذين المصدرين، وعلى هذا الأساس كان علم التاريخ العربي الإسلامي عند نشأته يقوم بادئ ذي بدء على دراسة (السيرة النبوية) وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها، وكان مركز نشاط هذه الحركة التاريخية يتمثل في مكة والمدينة[[33]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn33).

وفي مجال اهتمام المستشرقين بدراسة التاريخ العربي الإسلامي سنجد عدداً كبيراً جداً من دراسات المستشرقين موجها على كتب التاريخ، ونشرها وأصولها ومصادرها، وأحداثها، وكتب تاريخ السّير والمؤرخين، منذ عهود الرواية إلى التدوين، إلى المؤرخين الكبار (الطبري وابن الأثير، مثلاً) وصولاً إلى ابن خلدون. ودراساتهم التاريخية تقوم على تقسيمات جغرافية وإقليمية وعنصرية ومذهبية وطائفية، القصد منها التفكيك والتفتيت والتمزيق.[[34]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn34)

والمتتبع لكتابة المستشرقين عن تاريخ الإسلام يلاحظ أنهم ركزوا أول ما ركزوا على هدم الأساس الذي قام عليه التاريخ الإسلامي وهو النبي (صلى الله عليه وسلم) وسيرته الطيبة العطرة، فوصفه رواد الاستشراق من الكتاب المسيحيين الغربيين في القرون الوسطي وعصر النهضة بعدة أوصاف مفتراة، تدور كلها حول اتهامه بالكذب، وادعاء الوحي وأنه مبتدع للإسلام، مؤلف القرآن ومن ثم ينسبون إليه الإسلام فيقولون: المحمدية، كما ينسبون المسيحية إلى المسيح، وكذلك وصفه (صلى الله عليه وسلم) بالسحر والشهوانية، والدعوة إلى الإباحية الجنسية، والغدر، والعنف، ونشر الإسلام بالسيف، وأن الإسلام نفسه نوع من الهرطقة.[[35]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn35)

ولعل المتتبع لواقع الممارسات الاستشراقية في العالم الإسلامي يرى بوضوح ضلوع الاستشراق في خدمة المخططات الاستعمارية وإحياء الصراعات العصبية، وإثارة الخلافات المذهبية والفقهية وتضخيمها، لأجل إثارة الفتن بين المسلمين، ولهذا ركّز المستشرقون على دراسة التاريخ العام للأمة الإسلامية وخاصة الجوانب القاتمة فيه فأولوا اهتماماً خاصاً لتاريخ الحركات الباطنية. [[36]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn36)وعموماً نلاحظ أن دراسات الإسلام والتاريخ الإسلامي لدى المستشرقين تبدأ كثيراً بالافتراض التقليدي بأن الإسلام يتكون من ألوان مختلفة من التأثيرات الأجنبية التي لو دققت فسوف تفسر لنا أسباب تشويه صورة الإسلام في الغرب. [[37]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn37)

ولكن ولله الحمد والمنة فإن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يزعم المستشرقون مصداقاً لقوله تعالى: "لا إكراه في الدين " {البقرة : 256} وما كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه المؤمنين أن يخالفوا تعاليم القرآن الصريحة التي لا تحتمل اللبس ولا التأويل. فالمسلمون لم يستخدموا السيف قط لإكراه الناس على اعتناق الإسلام، يؤكد على ذلك أنهم حكموا الأندلس ثمانية قرون ومثلها الهند فلم يجبروا فرداً واحداً على التخلي عما كان يعبد للدخول في الإسلام.[[38]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn38) ولأن الإسلام لم ينتشر بحد السيف فإن تاريخنا الإسلامي لم يكتب بحد السيف أيضاً، بل بالمجادلة بالتي هي أحسن أسوة واقتداءً بدعوة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الناس، من خلال حضارة المسلمين التي جاءت لتبني الإنسان وتعمّر المكان.

ولأن تاريخ العرب هو تاريخ الإسلام لم يغمض للمستشرقين الغربيين جفن منذ أن بدأ علم التاريخ العربي الإسلامي نشأته بالقيام على دراسة (سيرة النبي) وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها[[39]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn39).

ولذلك كان من الطبيعي أن يترك المستشرقون العرب جانباً ويصوّبوا سهامهم المسمومة صوب الرسول محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) النبي العربي المبعوث للناس كافة ولهذا لم يكن من المستغرب البتة أن يركّز الاستشراق جهده على الحط من شأن العرب من خلال دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه وثقافته، وأديانه ولغاته، ونظمه الاجتماعية والسياسية، وثرواته، وإمكاناته من منطلق النفوذ العنصري والثقافي على الشرق، بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية. [[40]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn40)

مكمن الخطر في هؤلاء ليس في أشخاصهم وإنما في تأثيرهم من خلال وجودهم في المناطق ذات التأثير المباشر على المجتمع مثل المؤسسات التعليمية والتربوية، فقد كان من أخطر ما واجه التاريخ الإسلامي هذه المجموعة من أتباع المستشرقين وحملة ألوية الفكر الغربي ودعاة التغريب الذين سيطروا على مجال التربية والتعليم، والذين ما زالوا منبثين في عديد من الجامعات والمعاهد الخاصة بالإرساليات حيث نجد الشباب المسلم يعرف عن نابليون أكثر مما يعرف عن خالد بن الوليد وطارق بن زياد[[41]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn41).

وأتباع المستشرقين للأسف هم الذين ينفّذون سياسة أساتذتهم على الأرض عبر واجهة أكاديمية مكتوب عليها مسمى تعليمي أو تربوي، ولا مندوحة إذا ما رأينا كثرة المتخصصين في تاريخ أوربا بإشكاله وأنواعه وقلة المتخصصين في التاريخ الإسلامي الذي يستمد حياته وحيويته وطاقته على البقاء والاستمرار، من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،والذي فيه تبيان لكل شيء لم يستبينه المستشرقون وتلامذتهم الذين عميت أبصارهم عن رؤية الحق وضاح أبلج. وكذلك يستمد شبابه وعنفوانه من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتي جاءت مفصلة لما أجمل وأشكل في كتاب الله حيث ظل فهم الاستشراق والمستشرقين قاصراً عن فهم محتواه.

إن مسألة المنهجية التي طبّقها المستشرقون في دراساتهم للتاريخ الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر مسألة تتسم بأسباب نادرة لأسباب عدة منها:

أولاً: أنها تستحوذ على اهتمام الدارس الغربي والشرقي كليهما والمهتمين بدراسة الاستشراق.

ثانياً: إن مسألة المنهجية الغربية في التاريخ الإسلامي أمر مشوق إزاء دخول المنهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة وفي مجال التاريخ بصفة خاصة .

ثالثاً: إن منهجية المستشرقين مهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي إذ إنها تمس موضوعاً دقيقاً هو طبيعة التاريخ الإسلامي وجوهره، ومن ثم أثرت على الطريقة التي كوّن المسلمون بها صورة لأنفسهم في سياق تاريخهم. [[42]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn42)

فليس من العدل أن نجمع المستشرقين كلهم في دائرة واحدة ونحكم عليهم حكماً مشتركاً فنزعم أن منهجهم كان واحداً في كل الأزمان وفي كل الموضوعات التي تناولوها، ونثمن هذا بما ذكره الدكتور عبد الأمير الأعسم وهو يتحدث عن مواجهة الاستشراق المعاصر بقوله :" بعد كل هذا نلاحظ أن هناك من الباحثين من يبخسون حقوق "الاستشراق" جملة وتفصيلا وهذا غلط نقترفه بحق عدد كبير من حسني النية من المعنيين بتراثنا وثقافتنا وعلومنا. ولا يمكن في هذا الصدد أن يقال أن جميع المستشرقين كانوا محرفين أو مشبوهين، كما لا يمكن القول أن كل ما كتبه المستشرق (فلان) هو تحريف وتصد لموضوعات تراثنا وثقافتنا ففي هذه الأقوال يكمن نوع من التعسف. [[43]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn43)

وعلى هذا المنوال شككت فئة من الشرقيين بالمستشرقين وأعمالهم ونظروا إليهم من زاوية متشائمة، وأخذوا كل ما صدر عنهم بالحيطة والحذر، وحاولوا إبراز سلبياتهم، وأصدروا على أعمالهم الطعن، وهذه بلا شك نظرة سلبية خالصة تعددت فيها الأسباب بين التعصب الديني والسياسي وغيرها، فكما كان للمستشرقين أهدافهم الدينية والسياسية، كان لهم أسبابهم للوقوف والتصدي لكل ما يسئ إلى دينهم وأمتهم ويحاول تفويض الدولة العربية الإسلامية. [[44]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn44)

وحفظاً لوقت القارئ وجهده في التعرف على المناهج التي اختطها عدد كبير من المستشرقين لكتابة التاريخ الإسلامي خاصة والعلوم الإسلامية عامة، نجمل ذلك في الآتي:

أولاً:- محاولة رد معطيات الدين الإسلامي إلى أصول يهودية ونصرانية ويتمثل هذا الأمر في كثير من الكتابات حول الوحي وحول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونستشهد على هذا بأن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو من الخريجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرّقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني.[[45]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn45) وقد ذكر طيباوي أن عدداً من المستشرقين الناطقين باللغة الإنجليزية يعتقدون بذلك ومنهم على سبيل المثال مونتجمري وات وبرنادر لويس وغيرهم. [[46]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn46)

ثانياً:- التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف؛ فقد دأب المستشرقون عموماً على التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف من خلال الزعم بأن "الحديث لم يُدوّن وقد نقل شفاهةً مما يستوجب في نظرهم عدم صحة الأحاديث".[[47]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn47) والأمر الثاني في نظرهم كثرة الوضع في الحديث، والأمر الثالث اتهام المستشرقين للفقهاء بوضع الأحاديث وتلفيقها " لترويج آرائهم واختلاف الأدلة التي تسند تلك الآراء.."[[48]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn48)

ثالثاً:- البحث على الضعيف والشاذ من الروايات: يقول جواد علي "لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخراً، أو كان من النوع الذي استغربة النقدة وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك ".[[49]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn49)

وهذا الأمر مشهور إلى حد كبير فهم يذهبون إلى الكتب التي تجمع الأحاديث وبخاصة مثل "كنز العمال" وغيرها من الكتب التي لا يرد فيها تصحيح أو تخريج الأحاديث، وقد كتب باحث بريطاني عن فتح المسلمين قسطنطينية بأنه وردت أحاديث عن أن الذي سيفتحها سيكون اسمه اسم نبي ثم لما لم تفتح أوعي أن الأحاديث لا تصح لأن تكون مصدراً، أما أنه لم يعرف صحة الحديث من عدمة فأمر لا يهمه وهو الذي يدعي العلمية والنزاهة.

رابعاً:- الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم .حيث كثرت كتابات المستشرقين عن الفرق كالشيعة والإسماعيلية والزنج وغيرهم من الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وأعطوها من المكانة والاهتمام أكثر مما يستحق، بل إن هناك من أطلق عليهم لقب المعارضة لإعطاء ما قاموا به من عداوة لله ولرسوله شرعية، كما حصل بعضهم على درجة الدكتوراه في بحوث حول هذه الفرق.

خامساً:- الخضوع للهوى والبعد عن التجرد العلمي: يقول الدكتور عبد العظيم الديب " فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هناك يكون دأبه واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم..."[[50]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn50). وتلك هي أعلى مراتب الفهم للمستشرقين ومقاصدهم الحقيقية وأهدافهم الواضحة الجلية التي ينبغي فهمها كما هي بالكلية العقلية .

سادساً:- التفسير بالإسقاط: يشرح الدكتور الديب هذا الخطأ المنهجي بأنه " إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم".[[51]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn51)

فمثلاً واقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة وإن كان الأمر يبدو في الحاضر انتخابات وحرية اختيار، لكن الحقيقة أن من يملك المال يستطيع أن يصل إلى الأصوات حتى صدر في أمريكا كتاب بعنوان "بيع الرئيس" وكتاب آخر عن "صناعة الرئيس". فجاء المستشرقون إلى بيعة الصديق "رضي الله عنه" فصوروها على أنها اغتصاب للسلطة أو تآمر بين ثلاثة من كبار الصحابة هم والله أنقي البشر بعد الانبياء والرسل وهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين. فزعموا أن هؤلاء الثلاثة تآمروا على أن يتولوا الخلافة الواحد تلو الآخر، وذكروا كذلك أنهم سموا المنافقين بالمعارضة وغير ذلك من الإسقاطات التي تدل على سوء طوية وخبث وبعد عن المنهج العلمي. [[52]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn52).

سابعاً:- المنهج الانتقائي وإثارة الشكوك في معطيات السُّنة والتاريخ فقد عرف عن كثير من المستشرقين في كتابيهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون غيرها، كما أنهم يشككون في أمور من المسلمات لديننا في التاريخ الإسلامي فمن ذلك أنهم كما قال د. محمد فتحي عثمان "لقد قالوا في كتاباتهم في السيرة النبوية وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده.."[[53]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn53)

ثامناً:-التحريف والتزييف والادعاء : فقد قام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تخص الإسلام وتاريخه فمن ذلك مثلاً أن بعضهم أنكر عالمية الإسلام وبخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى، وإنكار عالمية الرسالة الإسلامية يظهر فيما كتبه جوستاف لوبون في كتابه "تاريخ العرب" حيث زعم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأى أنه كان لليهود أنبياء وكذلك للنصارى فأراد أن يكون للعرب كتاب ونبي، وكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه. أما التزييف فانقل ما أورده الدكتور الديب من رواية عن أموال الزبير بن العوام "رضي الله عنه" فقد أورد "ديورانت" هذا الخبر " وكان للزبير بيوت في عدة مدن، وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف عبد .." والخبر كما أوردته المصادر الإسلامية الموثقة هو كالآتي " كان للزبير ألف من ذلك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، يتصدق بذلك جميعه " وفي مناقشته الخبر أوضح الديب أن المستشرق أضاف ألف جواد أقحمها في الخبر وليس لها أساس. ثم إن في الخبر أن الزبير رضي الله عنه يتصدق بكل دخلهم لا يدخل بيته منها شيء فلم يورده فهل هذا من الأمانة العلمية ؟[[54]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn54)

تاسعاً:-اعتماد مصادر غير موثوقه لدى المسلمين: من العيوب المنهجية في الدراسات الاستشراقية أنهم يعتمدون على المصادر غير الموثوقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساسي لدراساتهم وبحوثهم، ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتاب مثل كتاب "الأغاني " للأصفهاني فيجعلونه مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعّفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم، أوكان أصحاب تلك المراجع منحازين إلى فئة معينة أو متعصبين .

موضوعية المستشرقين وجهودهم العلمية :

يقول الدكتور أحمد السيد في كتابه السيرة النبوية "المنشور على الانترنت": في البداية يجب الاعتراف بكل وضوح وصراحة بجهود المستشرقين في خدمة التراث العلمي الإسلامي. لقد كرسوا طاقتهم لدراسة العلوم الإسلامية، وشغفوا بالبحث في كنوزها، وبذلوا في تحقيقها وتحليلها جهوداً ضخمة. ويكون من المكابرة والجحود إنكار فضلهم وجهودهم. فبفضل تلك الجهود برز كثير من كنوز التراث العلمي الإسلامي إلى الوجود، بعد قرون من الانزواء في المكتبات، وعرفت طريقتها إلى نشر ومعانقة النور، فكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وطاقاتهم، ومع الاعتراف بفضلهم يجب التأكيد بأن عدداً كبيراً منهم كان هدفه البحث عن مواضع الضعف في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي واستغلالها لغايات سياسية أو دينية. [[55]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn55)

وفي حديثه عن المستشرقين وكتابة التاريخ الإسلامي يذكر الدكتور جمال العطية: أن الاستشراق كفكر يقع بين فكرتين أساسيتين كونهما الغرب عن الشرق؛ الفكرة الأولى هي الملامح التي رسمها الأوربيون عن الشرق من الأحقاد الدينية والأقليمية، وقد لعبت الاحتكاكات العسكرية دوراً في رسم هذه الملامح، أما الثانية فهي الصور التي رسمتها أقلام مجموعة من المفكرين والأدباء الغربيين فضلاً عن مساهمة الإعلام الغربي في هذه الصورة. [[56]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn56)

ومن ناحية التزامهم المنهج العلمي في الكتابة التاريخية فبينما يرى دكتور العطية أنه لا بد من الإقرار بأن معظم المستشرقين يستخدمون طرقاً علمية في البحث والتحليل التاريخي إلا أنه يرى أن هذا لا يمنع من إساءة استخدام هذه الطرق أحياناً.[[57]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn57)فهو بهذا يثبت الاستخدام ولا ينفي إساءته ولو أحياناً.

وفي هذا السياق ذهب دكتور أحمد أبوريد إلى أن المستشرقين يجافون المنهج العلمي وذلك بإهمالهم المبادئ الأولية لهذا المنهج والانطلاق من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام مثل بشرية القرآن وعدم صدق النبي وذلك باعتمادهم في جمع المعلومات على مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الحديثة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات القوية الصحيحة[[58]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn58).

وعليه فلا يصح أن نأخذ تاريخنا من كتابات جورجي زيدان أو فيليب حتي أو ساطع الحصري، أو بأسلوب المبشرين المتعصبين والمستشرقين، فلا بد من تدريس التاريخ وتدوينه من وجهة النظر الإسلامية من منطلق إسلامي وبقلم من يقف في المركز الإسلامي يطل على الحياة الإسلامية ويعيش الباحث بكل كيانه في جو الإسلام[[59]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn59). ولهذا لا يختلف اثنان على أن تاريخنا الإسلامي قد نال بعض أحداثه نصيباً من التشويه والشبهات التي حاكها بعض المستشرقين ومن سار على دربهم، مثل شبهة أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن هدف الجهاد الإسلامي مادي، وتشويه الفتوحات الإسلامية بأن السبب فيها هو المرأة وغيرها من الشبهات.[[60]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn60)

وفي ذات السياق يقول الدكتور محمد بن عبود الملاحظات العامة عن بعض الجوانب الموضوعية للاستشراق لا تعني أن جميع المستشرقين لا يتسمون بالموضوعية، بل على العكس من ذلك نجد أن بعض المستشرقين البارزين قد ضربوا بسهم كبير في الدراسات الإسلامية وأقاموا علامات على الطريق في مجال البحث العلمي بما في ذلك الدراسات في سائر العلوم الاجتماعية ووجهوا الأجيال اللاحقة من المستشرقين.[[61]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn61)

ومسألة موضوعية المستشرقين وإنصافهم للإسلام والمسلمين ليست إلا ضلال وتضليل للمسلمين وليس كما يزعم بعض المسلمين أنها من أجل خدمة العلم وحده إذ العلم في الإسلام إنما هو وسيلة، وليس غاية[[62]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn62). يقوي من ذلك سبب موضوعي واضح يحول بين المستشرقين وبين الموضوعية والأمانة العلمية، وهو عداوة وكره معظمهم للإسلام، وحقدهم الصليبي عليه وهو الحقد الذي يتغلغل في كل دراساتهم لهذا الدين. ففيما يتعلق بالإسلام لا تجد موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب، كما هو الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية. وإن اعتبرنا الأعمال العلمية التي أنجزها المستشرقون في شتى فروع الدراسات الإسلامية بحر لا ساحل له، فأكثرها انتشاراً وتداولاً بين الباحثين من جميع المستويات، هي دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها وأشرف على تحريرها نخبة من المستشرقين، برعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية. وجل موادها متعلقة بالإسلام والمسلمين، فيها كثير من الآراء والمعلومات التي تحتاج إلى المراجعة والتصحيح .

فالاعتراف بالحق فضيلة والنظر في فحوى اتباعه واجب، فلا أحد ينكر فضل المستشرقين في هذا، ولا عين تخطئ فضل الإسلام والحضارة الإسلامية على الغرب، ولكن أي الفضلين أفضل، فضل من بخل واستغنى وآثر واستعلى، أم فضل من آمن واتقى وبذل وأعطى بلا من أو أذى؟ نحمد لهم تسليطهم الضوء على ما كان مهجوراً من تراثنا الإسلامي فرأى النور فلولاه لما كانت لهم علوم ومعارف، فلأجل أنفسهم بذلوا الجهد حتى يكون لهم فيه غاية المجد، وقد أصابوا فلا يزالون يجدون من يشيد بما عملوا .

وحتى تتم مواجهة خطر مناهج الاستشراق في كتابة التاريخ الإسلامي وما ترتب عليها من أضرار فقد تعالت أصوات بالدعوة إلى ضرورة التفكير في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من جديد وعرضه عرضاً سليماً للأجيال وتخصيصه بأسلوب علمي هادف، من وضع منهجية سوية وقواعد موضوعية بهدف تقديم الحقيقة في قالب يجمع الصواب الذي يعرض، والأسلوب الذي لا يعود على الأمة في مختلف عصورها بالإحباط ويقودها إلى مزيد من الفرقة والتمزق والضياع.[[63]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftn63)

النتائج:

1-    مناهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين مصدرها الأساس القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بينما مناهج المستشرقين مصدرها كل ما من شأنه طمس معالم المنهج الإسلامي في التوثيق والتحري والضبط والدقة.

2-    الموضوعية العلمية التي ادعاها ويدعيها المستشرقون بدعوى الأمانة العلمية والإنصاف ما هي إلا محاولة جادة لإيجاد أرضية يشكلها بعض علماء المسلمين يشيد عليه المستشرقون صرحاً لا أساس له إلا الأباطيل والأكاذيب، وقد أفلحوا في ذلك، وبفضل أولئك تمكنوا من الوصول إلى غاية تنبه لها علماء مسلمون تولو ا الرد عليهم بالدليل الساطع والبرهان القاطع والحجة البينة.

3-    معالجة الآثار التي نجمت عن مناهج المستشرقين في كتابة التاريخ الإسلامي ينبغي أن تتم بموضوعية وحكمة وبمنهجية علمية إسلامية نزيهة، أمينة، ومنصفة.

المصادر والمراجع

1- ابن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، ج 4، القاهرة : 1960.م.

2 - أحمد بهاء الدين"أعادة كتابة التاريخ " متي وأين ولماذا" مجلة العربي العدد 256، الكويت؛ ربيع الثاني، مارس 1980م.

3-أحمد أبو ريد. طريقة المستشرقين في التعامل مع السيرة النبوية. "منشور على الانترنت".

4- أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق، كتاب المنتدي – سلسلة تصدر عن المنتدي الإسلامي. لندن (د.ت).

5- اوليرى- مسالك الثقافة الإغريقية إلى الغرب، ترجمة الدكتور ثمام حسان، القاهرة:1975.

6- جلال العطية. المستشرقون ودراسة التاريخ الإسلامي "منشورعلى الانترنيت".

7- السيد عبدالعزيز :سالم مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والاثار الإسلامية والمغرب الكبير، ج2، الاسكندرية 1966م.

8-سيدة إسماعيل الكاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة.

9- صبحى ناصر حسين. موقف المشارقة من المستشرقين : سلسلة كتب الثقافة المقارنة. الاستشراق. العدد الأول كانون الثاني 1987، دار الشوؤن الثقافية العامة، الاعظمية، بغداد.

10- ابن طباطبا محمد بن علي بن طباطبا .كتاب الفخري في الآداب السلطانية، بيروت : 1960م.

11- فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد،1963م.

12- عبد الأمير الأعسم "الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر" سلسلة كتب الثقافة المقارنة – الاستشراق، العدد الأول كانون الثاني 1987م.

13- عبد اللطيف طيباوي. المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية. ترجمة قاسم السامراني ."منشور على الانترنت".

14- عبد القهار دواد العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية عمان: دار الفرقان، 1421هـ.

15- عبدالعظيم الديب. المنهج في كتابات الغربين عن التاريخ الإسلامي. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية. كتاب الأمة، عدد 27. ربيع الثاني 1411هـ.

16- عبد الله ناصر. "هل كانت المرأة سبباً في الفتوحات الإسلامية" مجلة العربي العدد 195، الكويت، ربيع الآخر سبتمبر، أكتوبر 1993م.

17- عبدالله ناصر "كيف نعيد الأنظار إلى التاريخ الإسلام " مجلة العربي، العدد 299 السنة26 الكويت، ذي الحجة 1422هـ.

18- عبد العليم عبدالرحمن خضر: خضرالمسلمون وكابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – سلسلة المنهحية الإسلامية (6)، 1401هـ1981م.

19- محمد قطب. المستشرقون والإسلام، القاهرة : مكتبة وهبة، الطبعة الاولي، 1420هـ 1999م

20- محمد عبدالكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخى عند العرب. بنغازى. جامعة قار يونس، ط1، 1990م.

21- محمد عبد الغنى حسن: علم التاريخ عند العرب، القاهرة:1962م.

22- محمد بن عبود. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب التربية العربي لدول الخليج. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج 1 "منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي **".** منشور على الانترنت.

23- هرنشو،ف، ج. علم التاريخ ترجمة عبد الحميد ألعبادي القاهرة: لجنة الترجمة والتأليف والنشر، 1944م.

-1-

[[1]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref1) - محمد عبد الكريم الوافى: منهج البحث  في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب. بنغازي. جامعة قار يونس، ط1، 1990م،ص1

[[2]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref2) - عبد العليم عبد الرحمن خضر: خضرالمسلمون وكتابة التاريخ، العهد العالمي للفكر الإسلامي – سلسلة المنهحية الإسلامية (6)، 1401هـ1981م،ص74.

[[3]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref3) - محمد عبد الغنى حسن. علم التاريخ عند العرب، القاهرة:1962م،ص167 – نقلا عن السيد عبد العزيز :سالم مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، ص77

[[4]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref4) - السيد عبد العزيز سالم. مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والاثار الإسلامية،ص77.

[[5]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref5) - انظر: المرجع نفسه،ص79، نقلا عن: عبد القادر طليمات، المؤرخ ابن الاثير

[[6]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref6) - السيد عبد العزيز سالم،مرجع سابق، ص80

[[7]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref7) - محمد بن على بن طباطبا .كتاب الفخري في الاداب السلطانية، بيروت : 1960م،ص 13-14-نقلا عن السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق،ص18

[[8]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref8) - راجع : ابن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، ج 4، القاهرة : 1960، ص 359.

[[9]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref9) - السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص82.

[[10]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref10) - عبد القادر طليمات. المورخ ابن الاثير، ص3، نقلا عن: عبد العليم خضر، مرجع سابق،ص84

[[11]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref11) - عبد العليم خضر،مرجع سابق،ص84

[[12]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref12) - المرجع نفسه.

[[13]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref13) - السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص85

[[14]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref14)- راجع: السيد عبدالعزيزسالم، ص 86، الدوري، 56ص والسيد عبد العزيز سالم. المغرب الكبير، ج2، الاسكندرية 1966م، ص93-96.

[[15]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref15)- السيد عبد العزيزسالم، مرجع سابق ص87.

[[16]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref16) - فرانز روزنثال، المسلمون وعلم التاريخ، ص102ومايليها نقلا عن السيد عبد العزيز سالم

[[17]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref17) - اوليرى- مسالك الثقافة الاغريقية إلى الغرب، ترجمة الدكتور ثمام حسان، القاهرة:1975،ص3؛  السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق ص88.

[[18]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref18) - هر نشو، علم التاريخ.

[[19]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref19) - سيدة كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ص 50

[[20]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref20) - فرانز روزنثال، مرجع سابق ص 121

[[21]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref21) - عبد العليم عبد الرحمن. مرجع سابق، ص208 -209.

[[22]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref22) - عبد االعليم عبد الرحمن، المسلمون وكتابة التاريخ. المرجع السابق .ص211-212.

[[23]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref23)- نفسه، ص216-218.

[[24]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref24) - نفسه، ص 216 - 217

[[25]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref25) - صبحى ناصر حسين. موقف المشارقة من المستشرقين : سلسلة كتب الثقافة المقارنه. الاستشراق. العدد الاول كانون الثاني 1987، دار الشوؤن الثقافية العامة، الاعظمية، بغداد،47

[[26]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref26) - جلال العطية. المستشرقون ودراسة التاريخ الإسلامي "منشورعلى الانترنيت"

[[27]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref27) 4- أحمد غراب مرجع سابق، ص8

[[28]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref28) -م حمد قطب. مرجع سابق، ص 7

[[29]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref29) - المرجع نفسه، ص 10

[[30]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref30) - نفسة، نفس الصفحة .

[[31]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref31) - الإسلام على مفترق الطرق .ترجمة الدكتور عمر فروخ،ط 1،ص 58- نقلا عن. محمد قطب. الإسلام والمستشرقون،ص 10

[[32]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref32) جمال العطية. مرجع سابق 32

[[33]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref33) - عبد العليم عبد الرحمن  مرجع سابق، 83

[[34]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref34) عبد الامير الاعسم. مرجع سابق

[[35]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref35) - أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق، كتاب المنتدي – سلسلة تصدر عن المنتدي الإسلامي 21-29

[[36]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref36) - محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص 207-208.

[[37]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref37) - جمال عطية مرجع سابق

[[38]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref38) - الشيخ محمد قطب. المستشرقون والإسلام، القاهرة : مكتبة وهبة، الطبعة الاولي، 1420هـ 1999م، ص 80-81

[[39]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref39) - عبد العليم عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 83

[[40]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref40) - أحمد غراب .مرجع سابق ص 6

[[41]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref41) - عبد العليم عبد الرحمن .مرجع سابق، ص 71

[[42]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref42) - محمد بن عبود "منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي " مكتب التربية العربي لدولة الخليج .مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزاء الأول، ص343 -344.

[[43]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref43) - عبدالأمير الأعسم "الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر" سلسلة كتب  الثقافة المقارنة – الاستشراق، العدد الأول كانون الثاني 1987م، ص 24

[[44]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref44) - صبحي ناصر حسين" مرجع سابق.

[[45]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref45) عماد الدين خليل. دراسات تاريخية ص 159.

[[46]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref46) عبد اللطيف طيباوي .المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية. ترجمة قاسم السامراني .ص 10-13 وانظر أيضا البحث الذي كتبة التهامي نقرة بعنوان "القرآن والمستشرقون" في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج 1، ص 21-57.

[[47]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref47) - عبد القهار دواد العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية عمان : دار الفرقان، 1421هـ ص 121.

[[48]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref48) - المرجع نفسة، ص 122.

[[49]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref49) - جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 8.

[[50]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref50) - عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات الغربين عن التاريخ الإسلامي. قطر : كتاب الأمة، عدد 27 ص52.

[[51]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref51) - المرجع نفسه  ص9-10.

[[52]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref52) - عماد الدين خليل، مرجع سابق ص 177

[[53]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref53) - محمد فتحي عثمان، اضواء على التاريخ الإسلامي ص 69

[[54]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref54) - عبد العظيم الديب، مرجع سابق، ص 115-116.

[[55]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref55) - أحمد أبو ريد  مرجع سابق – على الانترنت

[[56]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref56) - جمال العطية. مرجع سابق. منشور على الانترنت

[[57]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref57) - المرجع نفسه.

[[58]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref58) - أحمد ابو ريد. مرجع سابق

[[59]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref59) - أحمد بهاء الدين " أعادة كتابة التاريخ " متي وأين ولماذا " مجلة العربي. العدد 256، ربيع الثاني، 1404هـ  مارس 1980م

[[60]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref60) - عبد الله ناصر.  "هل كانت المرأة سببا في الفتوحات الإسلامية" مجلة العربي  لعدد 195، ربيع الآخر سبتمبر، أكتوبر 1993م

[[61]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref61) محمد بن عبود. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب التربية العربي لدول الخليج. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج 1 "منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي " 365

[[62]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref62) - أحمد غراب. مرجع سابق ص 79

[[63]](http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=91693&d=1332803314" \l "_ftnref63) عبد الله ناصر "كيف نعيد الأنظار إلى التاريخ الإسلام " مجلة العربي، العدد 299 السنة26 ذي الحجة  1422هـ

**تطور الكتابة التاريخية بين منظورين**

**الثقافة الإسلامية في مقابل الثقافة الغربية**

ارتبط الإنسان منذ وجودِه بالولع بِمعرفة ما حصل في الماضي والتَّساؤُل بشأنِه، قد ظهر ذلك في ثقافة اليونان ردحًا طويلاً من الزَّمن، ثُمَّ تزايد الاهتِمام بذلك، وتعمَّم وانتشر في مُختلف شعوب المعمورة.

يقول"أرون ريمون": إنَّ الكتابة التاريخية ليست كتابةً في اللاَّزَمَان (أو أوكرنيا Uchronie هي كلمة يونانية تعني: نفي الزَّمن، وخرونوس وهو الزَّمان)، وإنَّما الغاية منها الوقوف على تفاصيل الصيرورة، ورسم معالم التطوُّر على تنوُّعها وتداخُلِها وتناسُبِها، واستِحْضار الماضي بكلِّ ما اتَّصفت به الأوضاع السياسية من المواصفات الملموسة في إبَّانِها"[[1]](http://www.alukah.net/culture/0/48498/%22%20%5Cl%20%22_ftn1)

ولمَّا اختلفت مستويات الخطاب التاريخي بحسب الزَّمان والمكان، وبحسب الطَّاقة العلميَّة للمؤرِّخين، فكذلك اختلفتْ مُستويات المعنيِّين بالخِطاب التَّاريخي، الذين يَجد المؤرِّخ نفسه ملزمًا بأخْذِها بعين الاعتبار.

وهذا المؤرِّخ محمد داود يقول:

"اعلم أنَّ كتابة التَّاريخ ينبغي أن تَختلف باختِلاف الأحْوال، فالمؤرِّخ لأجْل الأغراض الخاصَّة وللدِّعاية، له أن يُراعي المبدأ الذي ألَّف لأجله، فيرفع ما يشاء ويضع ما يريد، ويذكُر ما يرضاه أو يُرضيه، ويغفل ما لا يوافق مبدأه ومراده، يُشيد بذِكْر ما يؤيِّد رأْيَه ومذهبه، ويحطُّ من قيمة كلِّ ما يُخالف ذلك، أمَّا التاريخ الحقيقي الذي يكتب للاعتبار، ويسجِّل مختلف الحوادث والأخبار، فينبغي أن يكون كالمرآة أو كالآلة المصورة التي تُثْبِت الأشياء كما هي، والمؤرِّخ الصادق، الكاتب الحر هو الذي يثبت الحوادث كما وقعت، ويصف الأشخاص والأشياء بأوْصافِها الحقيقيَّة بدون مبالغة ولا بَخْس، فبذلك يُعْرَف مقام المصْلِحين، وفضْل المُحْسنين، وكفاح العاملين، وجهود المخلصين، كما يعرف أيضًا جبروت الظالِمين وطغْيان المعتدين"[[2]](http://www.alukah.net/culture/0/48498/%22%20%5Cl%20%22_ftn2).

تطوُّر الكتابة التَّاريخيَّة في الثقافة الغربيَّة:

قبل البدءِ بدراسة تطوُّر الكتابة التاريخيَّة، يكون من الأوْلى أن نسوق كلمةً مقتَضبة عن "كتابة التاريخ"، فالمعروف أنَّ حياة الإنسان على هذه الأرْض تنقسِم إلى قسمين: يسمَّى القسم الأوَّل: (عصور ما قبل التاريخ)، ويسمَّى القسم الثاني: (العصور التَّاريخيَّة)، والحدُّ الفاصل بينَهُما هو اكتِشاف الإنسان للكتابة حوالي 3500 ق م، وتدوين أوجُه نشاطه، ممَّا سهَّل الرُّجوع إليْها، والاستِفادة والاعتِبار ممَّا فيها من أخبار.

1- الكتابة التاريخيَّة في عهد اليونان:

كانت البدايات الأولى لعِلْم التَّاريخ عند الإغريق، كانت مكبَّلة بأغْلال الأسطورة والخيال، لعلَّ أبرز مثال على ذلك ملحمتا "الإلياذة"، و"الأوديسة" لهوميروس، بالرغم من خيالِها الخصْب إلا أنها تكشف عن تاريخية حرب طروادة.

لكنَّ التاريخ كعلمٍ يُعْنى بأخبار الماضي، يرجعه الكثيرون إلى عهْد المؤرِّخ اليوناني (هيرودوت)، الذي ينسب إليه البدْء بفنِّ كتابة التاريخ، ولقب بـ "أبي التاريخ"، قد استخدم كلمة (Istoria) اليونانيَّة عنوانًا لكتُبِه التسعة، وهي كلمة تعني البحث والاستفسار من أجل فهم الحوادث التاريخيَّة، وبِهذا نقل هيرودوت التَّاريخ من عالم الآلِهة المتعدِّدة "الآلهة البولياديَّة" إلى علم يهتمُّ بِنشاطات البشَر على الأرض، وقد عمل "هيرودوت" على تَمحيصها وحسن اختيارها؛ لكن رغم ذلك جَمَع بين ثناياها مادَّة خرافيَّة كثيرة.

كما أنجبتِ اليونان مؤرخين آخرين سطع نجمُهم في مجال الكتابة التاريخيَّة، خاصَّة (تيوسيدس) الذي عاش في القرن الخامس ق.م، وتَميَّز بحسِّ النَّقْد للرِّوايات التاريخيَّة، وطوَّر هذه الملَكة عمَّا كانت عليه عند "هيرودوت"، خاصَّة في كتابته لتاريخ الحرب البلبونيزية بين أثينا وإسبارطة؛ إذ استبعد الأساطير والخرافات، والقصص المسلِّية التي كانت سائدة في كتابات هيرودوت التاريخيَّة، لكن مع (أرسطو) أخذ التاريخ شكلَه العلمي؛ إذ ميَّز بين الكتابة الشعريَّة والتاريخ.

2- الكتابة التاريخيَّة في عهد الرومان:

فقد كانت مساهمة الرومان في مجال الكتابة التَّاريخية أقلَّ أهميَّة ممَّا عرفتْه الفترة اليونانيَّة، فمثلاً أبرزهم المؤرخ (تاسيتوس)، الذي استفاد كثيرًا من المؤرخين اليونان، لكنَّه وظف أغلب كتاباته بالهجوم على الشكل الإمبراطوري للرومان؛ إذ كان من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، وكان من أنصار الجمهوريَّة.

3- الكتابة التَّاريخيَّة في العصور الوسطى الأوربيَّة:

في هذه المرحلة أصبح كلُّ شيء في خِدْمة الكنيسة، سواء كان ذلك في الفنِّ أو الأدَب أو التاريخ؛ لذلك بات التَّاريخ يفسَّر بوجهة نظر دينيَّة نصرانية؛ إذْ كان أغلب مؤرِّخي هذه المرحلة من رجال الإكليروس (رجال الكنيسة) الذين تولَّوا قيادة الحركة الفكرية، إذ عمِل الرهبان على كتابة المؤلَّفات التاريخيَّة لخدمة أغراضهم، بالتَّالي شكَّلت هذه المرحلة عقبة أمام تطوُّر منهجيَّة الكتابة التاريخيَّة؛ لافتِقادها لقواعد المنهج العلمي.

من أهمِّ مؤرِّخي هذه المرحلة: "أوغسطين" المعلم الأوَّل للكنيسة الكاثوليكيَّة، الذي قسَّم تاريخ العالم إلى ستَّة عصور، قياسًا على الأيَّام الستَّة التي خلق الله العالم فيها، وخصَّص يوم السبت للرَّاحة!

4- الكتابة التاريخيَّة في عصر النهضة الأوربيَّة:

تميَّزت هذه ببعث تراث الحضارة اليونانيَّة والرومانيَّة، سمِّيت هذه المرحلة أيضًا بالحركة الإنسية (Humanisme)؛ ممَّا يعني أنَّ حركة الإحياء هذه لم تكُنِ الرجوع إلى الآداب الكلاسيكيَّة، ولكنَّها أعادت الاعتبار للإنسان.

كما أنَّ ظهور علم الاجتماع في أوربا قد أثَّر بدوْرِه في تطوُّر الدِّراسات التاريخيَّة الغربيَّة، كما سجلت المرحلة ظهورَ حركات اجتماعيَّة اقتصاديَّة وفكريَّة أغنت علم التاريخ.

شكَّل كتاب "الأمير" لمكيافيللي منهجًا جديدًا في الكتابة التاريخيَّة؛ إذْ قامتْ مُناقشاتُه التَّاريخيَّة على أدلَّة، وليس بناءً على تصوُّرات قبليَّة، فجمع في الكتاب تحليلاً واقعيًّا للتَّاريخ في علاقته مع السياسة والدبلوماسيَّة في إيطاليا - القرن السَّادس عشر.

5- الكتابة التاريخيَّة في عصر الأنوار:

سجَّلت هذه المرحلة أيضًا هجومًا كاسحًا على مناهج الكتابة اللاهوتيَّة للعصور الوسطى، لكن بالرَّغْم من تقدُّم مؤرِّخي القرن 18 م نحو التَّاريخ الثَّقافي والاجتِماعي اعترتْه - على حد تعبير Arthur Marwich في كتابه "طبيعة التاريخ" - ثلاثة عيوب:

• عدم إدراك المؤرخين لحقيقة التطوُّر والتغير الإنساني.

• الحرص على جَمع الوثائق والأدلّة، ونادرًا ما يتمُّ تحليلها.

• لم يكن التّاريخ مادَّة دراسيَّة مستقلَّة في مدارس وجامعات أوربا، بل كانت تدرَّس فقط في قصور الأمراء ورجال الدَّولة، باعتِباره من أدوات التربية - التدريب السياسي.

لكن بالرَّغْم من ذلك سجَّلت هذه المرحلة ظهورَ ما يسمَّى بـ "فلسفة التاريخ" مع فولتير، الذي قال: "بعْد قراءةٍ لآلاف المعارك ومئات الحروب، لم أجد نفسي أكثرَ حكمة مما كنتُ عليه من قبل".

6- الكتابة التاريخيَّة منذ القرن 19م إلى ظهور ما يسمَّى بـ "التاريخ الجديد":

مع حلول القرن 19م، بفعل التحوُّلات الاقتِصاديَّة الاجتماعيَّة الفكريَّة التي شهدَتْها أوربا، اندفع الكثير من المؤرِّخين وفلاسفة التَّاريخ إلى التَّفكير في مفهوم التَّاريخ، فظهرت تفاسير جديدة للتَّاريخ الذي توسَّع مفهومُه وأصبح أكثرَ شموليَّة، بعدما كان محدودَ النَّظرة والمنهج، كما ظهرت مدارس واتجاهات تاريخيَّة متعدِّدة، لعلَّ أهمَّها المدرسة الوثائقيَّة، التي تأثَّر روَّادُها بالفلسفة الوضعيَّة التي سادت أوربا خلال القرْن 19م، فقد دعا روَّاد هذه المدرسة التاريخيَّة إلى ضرورة اعتِماد الوثيقة في كتابة التاريخ، فالتاريخ يصنع بالوثيقة، لا تاريخ بدون وثيقة؛ كما قال مؤرِّخو هذه المدرسة "لانجلو" و"سينوبوس".

• ومع مطلع القرْن العشرين، أصبحت المدْرسة الوثائقيَّة عرضة للانتِقادات الشديدة، من قِبَل جيلٍ جديدٍ من المؤرِّخين الشَّباب في فرنسا، أمثال "لوسيان فيفر"، و"مارك بلوخ"، اللَّذَيْن نفخا روحًا جديدةً في الدِّراسات التاريخيَّة، حيثُ استغلُّوا "مجلة التركيب التاريخي" la revue de synthèses historique))، فنادوا بتوسيع دائرة الدراسات التاريخيَّة؛ لتنفتح على العلوم الأخرى.

وفي هذا الصدد يقول المؤرِّخ الفرنسي "لوسيان فيفر": "سيُساهِم في كتابة التاريخ اللغويُّ والأديبُ، والجغرافيُّ والقانوني، والطبيبُ وعالم الأجناس، والخبير بمنطق العلوم .. إلخ".

- مع ظهور مدرسة الحوْليَّات مع بداية النِّصْف الأوَّل من القرْن العشرين بفرنسا، وتأسِّي مجلَّة الحوليَّات (Les Annales) سنة1929م، أخذت الكتابة التاريخيَّة أبعادًا جديدة سوسيولوجيَّة، ولسانيَّة، وجغرافيَّة، وديمغرافيَّة، وتحوَّل التَّاريخ إلى دراسة كلِّ ما له علاقة بالإنسان.

وفي هذا الإطار سطع نَجم المؤرخ الفرنسي "فرديناند بروديل" (F.Braudel)، الذي يصنِّفه أغلب المؤرِّخين المعاصرين رائدًا للكتابة التَّاريخية في العصْر الحديث؛ إذ يعدُّ واضعًا لدعائم التَّاريخ الجديد، والذي أصبح من أهمِّ سماته انتِفاء الحدود بين التَّاريخ، والسوسيولوجيا، والإنتربولوجيا.

• لقد مثَّلتْ أطروحته الشهيرة، والتي درس فيها تاريخ العالم المتوسِّطي هذا التوجُّه، التي دعا فيها إلى تَجاوُز التَّاريخ السَّرْدي/ الإخباري، القائم على دراسة الوقائع السياسيَّة البسيطة في الأزمنة القصيرة، والانتِقال إلى دراسة تاريخ البِنَى الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، وذلك في سياق المُدَد الزمنيَّة الطويلة (les longues durées)؛ بِهدف رصْد مدى تفاعُل الإنسان مع مجاله الجغرافي.

وميَّز بروديل في دراسته للزَّمن التَّاريخي بين ثلاثة مستويات:

• الزَّمن الجغرافي (le temps géographique): وهو زمن المدد الطويلة، وزمن البنيات، يتميَّز بتغيره البطيء.

• الزَّمن الاجتماعي (le temps social): وهو زمن الظرفيات، وزمن المدد المتوسطة، مثل تاريخ تطور الاقتصاد والمجتمع.

• الزمن الفرْدي (le temps individuel): ويطابق زمن الوقائع، والأحداث السياسية؛ كالحروب والمعاهدات وحكْم الملوك.

وخلاصة القول:

فإنَّ مؤرِّخي مدرسة الحوليَّات أحْدثوا قطيعة ابيستمولوجيَّة مع الاتِّجاه السابق في الكتابة التاريخية، فقد عملوا على تَجاوز التاريخ الحدثي، ودعَوا إلى تاريخ إشْكالي يقرُّ بأهمية العوامل التركيبيَّة في دراسة التاريخ.

لقد ساهم هذا التوجُّه الجديد في الدراسات التاريخيَّة في إثارة مجالات جديدة للبحث، كتاريخ الذهنيات، والطقوس اليوميَّة، والخوف.

الأشكال المختلفة لكتابة التاريخ:

1- التَّاريخ الأصلي أو الأساسي، وتحتاج هذه الطريقة إلى (وعي فوري أو عفويَّة وموضوعية)، تعرف هذه الطريقة بوصْف التَّاريخ المعاش، من خلال شهودٍ مُباشرين، يعيشون في العصْر أو الحِقْبة التي حصلت فيها الأحداث (هيرودوت، ثيوسيديد).

2- التاريخ المفكر فيه، أو (فصل الأمور عن بعضها بقدْر ذهنيَّة عقلية)، تعرف بأنَّها إعادة بناء الماضي من أجل محاولة عيْشِه مرَّة أخْرى بشكل عقلي، وتَحتاج هذه الكتابة إلى جمْع ملفَّات كبيرة للعمل عليها، وهذا النوع الثاني من الكتابة يقسَّم بدوره لعدَّة أقسام:

أ- تاريخ بلد أو العالم بأكمله.

ب- التاريخ البراغماتي، والهدف منه الاستفادة من دروس أخلاقيَّة، واستخلاص قواعد من هذا التاريخ.

ج- التَّاريخ النقْدي، هدفه التحقيق والتَّفتيش حول الماضي والملفَّات التاريخيَّة، وفي التَّاريخ الإسلامي يستعمل ما يسمَّى بِمنهج علم الجرْح والتَّعديل (ابن خلدون نموذجًا).

د- التَّاريخ الخاص، كأن نقول كتابة تاريخ الثقافة، الدين... إلخ.

تطوُّر الكتابة التاريخيَّة في الثقافة العربية - الإسلاميَّة:

1- المعرفة التاريخيَّة قبل الإسلام:

لا ينكر أحد أنَّ التاريخ من أهمِّ ميادين المعرفة التي اهتمَّ بها العرب، وتدارسوا وألَّفوا فيها؛ إذْ بدأ الوعْي التَّاريخي في كلٍّ من وادي الرَّافدين، ووادي النِّيل، والعربيَّة الجنوبيَّة (بلاد اليمن)، وتدمر، والأنباط، والمناذرة، أمَّا منطقة نجد والحجاز، فقد تأخَّر فيهما ميلاد مثل هذا الوعْي أو ذاك الحس التَّاريخي.‏

ويرجع أغلبُ المؤرِّخين تأخُّر الوعْي التاريخي في منطقة الحجاز، إلى الطبيعة الصحراوية القاسية، التي لم تساعد على الاستقرار وقيام مجتمع متحضِّر - في نجد خاصَّة - ممَّا طبع النَّشاط الاقتِصادي هنا بطابع الرعْي، والحياة الاجتماعيَّة بطابع البداوة والتِّرحال، فأصبح النمط الثقافي السَّائد في هذه البيئة شفاهيًّا، يقوم على "الأيام" و"الأنساب"، فضلاً عن القصص التاريخي.

• الأنساب: وهي نمط من المعرفة التاريخيَّة؛ إذْ حرَصت كل قبيلة على حِفْظ أنسابِها؛ حتَّى لا تختلط بأنساب غيرِها من القبائل، لكن ما يُعاب على هذا النَّوع عادة هو خلوُّه من الإشارة إلى الأحداث التاريخيَّة، التي لم تكن هدفًا للأنساب أو موضوعًا لها.

• أيَّام العرب: وهي نَمط من أنْماط المعرِفة التَّاريخية عند العرب قبل الإسلام، وتتضمَّن أخبار الحروب والمعارك التي خاضتْها كلُّ قبيلة، الهدف منه هو إمتاع السامعين بمآثر أسلافهم دون البحث عن الحقيقة التاريخيَّة، وهي الوعاء الذي تَحفظ فيه القبيلة ذكرياتِ غزواتِها وملاحمها مع القبائل الأخرى، وتأتي المفاخرة والمباهاة بأبْطالها وشجعانِها، الذين قاتلوا ببسالةٍ في الذَّود عن حِمى القبيلة.

• القصص التاريخيَّة: كانت في هذه المرْحلة لا توظف الزَّمان كمحدّد ومكوّن أساس في الحدث التاريخي.

• الخبر: كان أحد علوم العرب قبل الإسلام، مثل الأيَّام، والأنساب، والشِّعر، فكانت للعرب أخبار في مرحلة ما قبل الإسلام، ويتميَّز الخبر قبْل الإسلام بارتِباطه بالرِّواية الشفويَّة، بِمعنى أنَّه لم يظهر بِمظهر كتابي إلا في النقوش، وذلك يعود إلى قلَّة التَّدوين وشيوع الأمِّيَّة في الحياة العربيَّة، واعتماد العرب على الذَّاكرة في الحِفْظ، حتَّى لم تتوفَّر لأيِّ شعب أو أمَّة ما كان لهم، وما عُرِفوا به من قوَّة الذاكرة، فالمسعودي يعرِّف التَّاريخ بأنَّه: علم من الأخبار.

2- المعرفة التاريخيَّة مع الإسلام:

إنَّ ظهور الإسلام يعدُّ منعطفًا خطيرًا في حياة العرب، فقد غيَّر مسار حياتِهم وأسُس تفكيرِهم، واستبْدل عقائدَهم المنحرفة الضَّالَّة بعقيدةٍ واضحة، فكوَّن بذلك القاعدةَ الفكريَّة اللازمة لتوحُّدهم بعد حياة التبعثُر والشَّتات التي كانوا يعيشونَها في ظلِّ القبليَّة، وما فرضته طبيعتُها عليْهم من مخاصمات وحروب ودماء.

وبقدْر تعلُّق الأمْر بالوعْي التَّاريخي، فإنَّ القرآن الكريم قد استفزَّ العقل العربي في المحاوِر الأربعة التَّالية، والتي نرى في مُجملها أنَّها كانت المشكاة التي أضاءتِ الطَّريق لمسيرة عِلْم التَّاريخ العربي - الإسْلامي:

1- فكرة المصير في القرآن الكريم، وأثرُها في الوعي التاريخي.‏

2- البعد الحضاري في القُرآن الكريم فكْرة استِخْلاف الله - تعالى - للإنْسان في الأرض، وأثره في الوعْي التاريخي.

3- أخبار الأمم الماضية في القُرآن الكريم، وأثرُها في الوعْي التَّاريخي عند العرب المُسلمين.‏

4- فكْرة وحدة الرِّسالات السَّماوية في القُرآن الكريم، وأثرها في الوعْي التَّاريخي عند العرب المسلمين.

• إنَّ القصص التي جاءتْ في القرآن الكريم هدفُها العبرة والاتِّعاظ، وقد حفز هذا المسلمين على التَّساؤل عن تلك الأمم ومواطنِها، وأزمانِها وصلتها ببعضِها أو بالعرب؛ ولأنَّ أكثرَها كانت من العرب كعاد وثمود، وأصحاب شعيب... إلخ، فقد كان القرآن المحفِّز لدراسة التَّاريخ العربي القديم، إلى جانب التَّاريخ العامِّ، في حين كان الحديث النبويُّ الشَّريف المحفِّز للاهتِمام بِجمع وتدوين التَّاريخ الإسلامي.

• السيرة النبويَّة نموذج مهمٌّ في الكتابة التَّاريخيَّة، فهو مثال وقدْوة المسلمين العُليا في الحياة، وأقوالُه وأفعالُه تعدُّ الرُّكن الثَّاني في التَّشْريع الإسلامي الذي كان قانونَ الدَّولة؛ لذا بدأ الاهتِمام مبكِّرًا بِجمْع كلِّ ما يتعلَّق بِحياته فيما سمِّي بعد ذلك بـ (السيرة)، ثم اتسع نطاق هذه الدراسة لتشمل ما عرف بـ(المغازي)، والتي تغطي الجوانب السياسية والعسكرية من حياته، حيث لم تعد الجوانب الاجتماعيَّة، مثار الاهتمام لوحدها، بل صار كفاحه وجهاده في سبيل نشر رسالته، بما في ذلك كفاحه المسلَّح – أي: سراياه وغزواته - مثار المزيد من الاهتمام.

• أمَّا عن ظهور مصطلح التاريخ في ثقافتِنا العربيَّة الإسلامية، فقد نُسِب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وضْع التاريخ، فقد رفَع إليه أبو موسى الأشعري: "أنَّه تأتينا من قِبل أمير المؤمنين كُتُب لا ندري على أيِّها يعمل، قد قرأنا صكًّا محلُّه شعبان، فما ندري أي الشعبانَين، الماضي أم الآتي …"، هذا النَّصُّ يشير إلى أنَّ التاريخ بمعنى الوقت.

• قد اتفق المسلمون في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على اختيار سنة هجرة الرَّسول – صلَّى الله عليْه وسلَّم - من مكَّة إلى المدينة بدايةً للتَّدوين التَّاريخي.

• ثمَّ تطوَّرت الكتابة التَّاريخيَّة عند المسلمين لتتَّخذ أبعادًا أخرى، وبمنهجيَّة تقوم دراستها على طريقتين: عمودية، وأفقيَّة:

• ويقصد بالطريقة العمودية: هي أنَّ المؤرخ يبتدئ التاريخ منذ الخليقة، أو منذ الميلاد، أو ظهور الإسلام، حتى ينتهي بعصره، وهي طريقة - كما نرى - لها بداية وتنتهي بنهاية، قد تكون عصر المؤرِّخ، أو يتوقَّف عند فترة قد تكون سابقة لعصره، على أنَّ المهمَّ فيها أنَّها طريقة تصاعدية في تناول حوادث التاريخ، ‏مثل المؤرِّخ المغربي الناصري في سلسلة كتبه التاريخيَّة "الاستقصا"، التي تناول فيها حقبة تاريخيَّة تمتدُّ من مولد الرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - إلى عهْد الحسن الأوَّل - تاريخ الدولة العلوية بالمغرب.

من المؤرِّخين العرب نذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، والدينوري في كتابه "الأخبار الطوال"، والطبري‏، وابن الأثير "الكامل في التاريخ".

أمَّا الطريقة الأفقيَّة، فهي التي تقوم دراستها بشكْلٍ يتوزَّع على المكان أكثر من توزُّعه على الزمان، بعبارة أُخْرى، هي تدرس شرائح منتخبة من الناس، موزَّعة على المجتمع العربي الإسلامي في امتداداته العرضية في ديار الإسلام،‏ خاصَّة في دراسات بعض الجغرافيين العرب؛ مثل ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض"، وابن بطُّوطة "تحفة النظار"، وصاحب "المسالك والممالك"؛ (المنظور الحضاري في التَّدوين التاريخي عند العرب، بتصرُّف يسير).

وحينما نصِل إلى القرْن الثَّامن الهجري، الرَّابع عشر الميلادي، تكون الكتابة في علْم التَّاريخ قد بلغتْ أوْجَها لدى ابن الخطيب العلامة الموسوعي، وابن خلدون صاحب فلسفة التَّاريخ وعلم الاجتِماع.

ابن الخطيب وتطوير منهجيَّة الكتابة التَّاريخيَّة:

التَّاريخ لدى ابن الخطيب ليس مجرَّد نقْل للأحْداث السياسيَّة وسيَر الملوك والسَّلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعمرانيَّة بما تشمله هذه الحياة من رُقِيٍّ وازدِهار، أو تخلُّف وتدهْور، وهو في ذلك يُتابع التَّفاصيل الدقيقة للموضوع الذي يتحدَّث عنه.

يركِّز ابن الخطيب على الوصْف الجغرافي للأماكن التي يتحدَّث عنها، ويجعل هذا الوصف مدخلاً لبحثه التاريخي، وهذا ما فعله في حديثِه عن غرناطة في مقدِّمة كتابه "الإحاطة"، بهذا يمكن اعتبار ابن الخطيب سبَّاقًا إلى فكْرة ضرورة انفِتاح التَّاريخ على العلوم الأخرى، على غرار ما جاءت به مدرسة الحوليات في فرنسا.

ابن خلدون مؤسِّس فلسفة التاريخ:
إنَّ دراسة ابن خلدون للظواهر الاجتماعيَّة، يمكن أن ترتقي بعلمه الجديد (علم العمران)، إلى مصافِّ الدراسات التي تتَّصل في صميم فلسفة التاريخ، وبالتَّالي فإنَّ ابن خلدون يمكن أن يكون أوَّل فيلسوف للتاريخ، وأوَّل مَن فلسفَه، بل ويكون منشئ فلسفة التَّاريخ على صعيد الفكر الإنساني.

لقد استخدم فولتير مصطلح (فلسفة التاريخ)، لأوَّل مرة في القرن الثامن عشر، في كتابه الموسوم (طبائع الأُمم وفلسفة التَّاريخ)، الذي أصْدره سنة (1756م)، لقد كان فولتير يعني به دراسة التاريخ الحضاري للأمم من وجهة نظر عقليَّة ناقدة، ثم توالت الدراسات في هذا الحقل، وأصبحت له مقومات معيَّنة يقوم عليها هي:

‏1- الكليَّة: تهدف فلسفة التاريخ إلى البحث عن المعاني الكلية في أحداث التاريخ، وتجميعها في مختلف العصور؛ بغية الوصول إلى قوانين كلية تفسِّر لنا التاريخ الإنساني.‏

‏2- العلِّية (العللية): هي اتِّجاه فلسفة التاريخ، تقوم على تجاوز العلل الجزئية التي يفسر بها المؤرِّخون الوقائع الفرديَّة المحصورة في زمان ومكان محددين، إلى محاولة العثور على علَّة عامة أو أكثر، لتفسير مجمل حوادث التاريخ الإنساني.

وبِهذا فإنَّ مقولات التَّاريخ تختلف عن مقولات فلسفة التاريخ اختلافًا جوهريًّا، فأصبحت النظرة الكلية بديلاً عن النَّظرة الفرديَّة، كما تَجاوزتْ فلسفة التَّاريخ مقولَتَي الزَّمان والمكان إلى ما وراء الزَّمان والمكان.

لقد تنبَّه الكثير من الباحثين - وخاصَّة في الغرب - إلى أنَّ مقدِّمة ابن خلدون التي كتبت في القرن الثامن الهجري، والتي سبقت مؤلف فولتير آنف الذكر بأربعة قرون تقريبًا، قد تضمَّنت (فلسفة للتاريخ)، وهذا برَّر إعلانهم عن أنَّ ابن خلدون يعدُّ المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ، أو بعبارة أخرى هو رائد ومؤسس هذا النوع من الدراسة.

وبذلك سبق ابنُ خلدون علماء الغرب في هذا المضمار سبقًا جديرًا بالتَّقدير والإعجاب، واعتبر رائد علم الاجتماع، والبحث التاريخي العلمي، وقد علق (إيف لاكوست)، صاحب كتاب (ابن خلدون واضع علم ومقرِّر استقلال)، ص 32، ترجمة زهير فتح الله، بيروت 1958، على هذه النَّاحية بقوله: "يستهلُّ ابن خلدون مقدمته بمقطع رائع، يشعر قرَّاءه أنَّه أمام نفحة ستقود ديكارت بعد ذلك بثلاثة قرون، وليس مثال ذلك السبق بنادر بين تراث الأدب العربي (الإسلامي)، الذي خلفه لنا العصر الوسيط".

وتقوم عناصر المنهج التَّاريخي عند ابن خلدون على الملاحظات الموجزة التالية:

• التاريخ علم.

• محتويات التاريخ والفكرة عنها.

• العناصر التي تجتمع لصنع التاريخ البشري.

• قوانين التاريخ.

• التاريخ علم فلسفي عند ابن خلدون.

• التَّاريخ عند ابن خلدون ظاهر: (أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى)، وباطن: (وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها).

• ابن خلدون يدحض الأساطير.

• ابن خلدون يضع القواعد اللازمة لمقارنة الحقيقة.

النقد التَّاريخي عند ابن خلدون يبدو في:

• تبدُّل الأحوال بتبدُّل الأيَّام.

• وحدة النفسيَّة الاجتماعيَّة.

• ظروف الأقاليم الجغرافية.

• التَّاريخ الحضاري البشري.

أمَّا منهج البحث التاريخي عند ابن خلدون فيعتمد على:

• ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتِكاك بها والحياة بين أهلها.

• تعقُّب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.

• تعقُّب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى لم يُتَح الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.

• الموازنة بين هذه الظواهر جميعًا.

• التَّأمُّل في مختلف الظَّواهر، للوقوف على طبائعِها، وعناصرها الذَّاتيَّة، وصفاتِها العرضيَّة، واستخلاص قانون تخضع له هذه الظَّواهر في الفكر السياسي، وفلسفة التَّاريخ، وعلم الاجتماع.

ويرى ابن خلدون في مقدِّمته:

1- إنَّ دراسة التَّاريخ ضروريَّة لمعرفة أحوال الأمم، وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

2- يركز ابن خلدون على موضوع الاستِبْداد والبطْش الذي يقوم به السلطان ضدَّ شعبه، وأثر ذلك في الشعب.

3- يشرح ابن خلدون: كيف أنَّ بعض السلاطين ينافسون رعيتهم في الكسب والتجارة، ويسخِّرون القوانين لخدمة مصالِحهم الخاصَّة، وتسلطهم على أموال النَّاس، وإطلاق يد الجند في الأموال العامَّة؛ مما يرسِّخ الشعور بالظلم، والإحساس بالحقد لدى الشعب.

4- يوضح ابن خلدون: أنَّ هذه العوامل الداخليَّة هي التي تؤدِّي إلى الخلل في أحْوال الدَّولة أكثر من العوامل الخارجيَّة؛ لأنَّ المجتمع الذي يُعاني من خلل داخلي لا يستطيع مُجابَهة عدوٍّ خارجي.

5- تمكَّن ابن خلدون من الرَّبط الدقيق بين العوامل الاقتصاديَّة، سابِقًا بذلك مفكِّرين أوروبيين بعدَّة قرون.

6- استوعب ابن خلدون الإرْهاصات السَّابقة في الفكر السياسي لدى الفارابي، والماوردي، والغزالي، وإخوان الصفا، والطرطوشي، ومسكويه، وسواهم، وصاغ من كلِّ ذلك نظريَّته الناضجة في الفكر السياسي، وفلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع.

7- يتَّضح من قراءة مقدِّمة ابن خلدون فهمُه لفلسفة التاريخ، من خلال ثلاث نقاط أساسيَّة:

الأولى: أنَّ التاريخ علم، وليس مجرَّد سرْد أخبار بلا تدقيق ولا تمحيص.

الثَّانية: أنَّ هذا العلم ليس منفصِلاً عن العلوم الأُخْرى؛ كالسياسة والاقتِصاد، والعمران وعلوم الدين، والأدب والفنِّ.

الثَّالثة: أنَّ هذا العلم يخضع لقوانينَ تنتظِم بِموجبها أحوالُ الدُّول من قوَّة وضعف، ورفعة وانحلال.

وقد طبَّق ابن خلدون هذه النظرية على كتابه "العبر"، في سرده للأحداث، والتَّعليق عليْها، وتَحليل نتائجها.

8- يرى ابن خلدون: أنَّ الظلم مُؤذنٌ بِخراب العمران، ويعدِّد أشْكال هذا الظُّلم، من اعتِداء على النَّاس، وتضْييق على حريَّاتهم، وسلْب أموالِهم، وإضْعاف فرص معاشِهم وتَحصيل رزقِهم، والعمران يَفْسد بِفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدِّي إلى الخراب.

9- إنَّ الفساد يؤدِّي إلى هرم الدَّولة وشيخوختها، والهرَم من الأمراض المزمنة التي قد تكون طبيعيَّة مع عمر الدول والأفراد، وقد تكون طارئةً بفعْل تفاقُم الظلم والفساد والعدوان.

10- كان ابن خلدون على قدْر كبير من الموضوعيَّة والحياد العلمي في قراءته لأحداث التاريخ وتفسيرها، رغم صعوبة الحياد في عصره.

المراجع المعتمدة في هذا المحور:

• الدكتور إبراهيم بوطالب: الكتابة التاريخية بين الموضوعية والالتزام، مجلة أمل، العدد21،1999.

• الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401هـ،1981م.

• الدكتور قاسم عبده قاسم: تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الأول، أبريل، مايو، يونية 1989.

• سامي الصقار: تراث العرب في كتابة التاريخ، مجلة البحرين الثقافية، العدد 22، أكتوبر 1999م

• عبدالعزيز العلوي الأمراني: نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي، مجلة فكر ونقد، العدد 84، السنة التاسعة، عدد84، ديسمبر 2006.

• إشكاليَّة المصطلح في التاريخ، مجلة أمل، العدد15، السنة الخامسة،1998.

• (إيف لاكوست)، صاحب كتاب: (ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال)، ص 32، ترجمة زهير فتح الله، بيروت 1958.

• سالم أحمد محل، المنظور الحضاري في التدوين منذ العرب، سلسلة كتاب الأمة.

• عبدالله العروي: العرب الفكر التاريخي.

• عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ.

• محمد قجة: تطور المنهج العلمي في الكتابات التاريخية عند العرب.

الخبر التاريخي ورواية الحديث

لاشك أن رواية الخبر التاريخي يختلف عن رواية الحديث النبوي ، ولكل فن منهج خاص به ، وإن كانا يشتركان في بعض الأصول ..

وهنا لابد أن نتنبه إلى شيء مهم وهو : أنه يجب أن نفرق بين رواية ( الحديث ) و رواية ( الأخبار الأخرى ) ، فعلى الأولى تبنى الأحكام و تقام الحدود ، فهي تتصل مباشرة بأصل من أصول التشريع ، و من هنا تحرز العلماء –رحمهم الله – في شروط من تأخذ عنه الرواية .

لكن يختلف الأمر بالنسبة لرواية الأخبار ، فهي وإن كانت مهمة – لا سيما حينما يكون مجالها الإخبار عن الصحابة – إلا أنها لا تمحص كما يمحص الحديث ، و من هنا فلا بد من مراعاة هذا القياس و تطبيقه على الإخباريين .

و من درس مناهج دراسة التاريخ الإسلامي عرف هذا ، لكن من لم يدرس تخبط و أخذ يهرف بما لا يعرف ، وإليك تفصيل ذلك :-

شروط الرواية المقبولة : من العسير تطبيق منهج النقد عند المحدثين بكل خطواته على جميع الأخبار التاريخية ، وإن اشتراط العلماء في المؤرخ ما اشترطوه في راوي الحديث من أربعة أمور : العقل و الضبط و الإسلام والعدالة ، لأن الأخبار التاريخية لا تصل في ثبوتها وعدالة رواتها واتصال أسانيدها إلى درجة الأحاديث النبوية إلا فيما يتعلق ببعض المرويات في السيرة والخلافة الراشدة مما تأكدت صحته عن طريق مصنفات السنة ، أما أكثرها فمحمول عن الإخباريين بأسانيد منقطعة يكثر فيها المجاهيل والضعفاء والمتروكين .

و لهذا فرق العلماء بين ما يتشدد فيه من الأخبار و بين ما يتساهل فيه تبعاً لطبيعة ما يروى ، على أن تطبيق قواعد نقد الحديث في التاريخ أمر نسبي تحدده طبيعة الروايات .

فإذا كان المروي متعلقاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بأحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فإنه يجب التدقيق في رواته والاعتناء بنقدهم .

و يلحق بهذا ما إذا كان الأمر متعلقاً بثلب أحد من العلماء والأئمة ممن ثبتت عدالته أو تنقصهم و تدليس حالهم على الناس – لأن كل من ثبتت عدالته لا يقبل جرحه حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه ، كما قال ابن حجر في التهذيب (7/273) - .

و كذلك إذا كان الأمر يتعلق بقضية في العقيدة أو موضوع شرعي كتحليل و تحريم ، فإنه لابد من التثبت من حال رواته ومعرفة نقلته ، ولا يؤخذ من هذا الباب إلا من الثقات الضابطين .

أما إذا كان الخبر المروي لا يتعلق بشيء من الأحكام الشرعية – وإن كان الواجب التثبت في الكل – فإنه يتساهل فيه قياساً على ما اصطلح عليه علماء الحديث في باب التشدد في أحاديث الأحكام والتساهل في فضائل الأعمال .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التساهل لا يعني الرواية عن المعروفين بالكذب و ساقطي العدالة ، لأن ساقط العدالة لا يحمل عنه أصلاً ، و إنما قصد العلماء بالتساهل إمرار أو قبول رواية من ضعف ضبطه بسبب الغفلة أو كثرة الغلط ، أو التغّير والاختلاط ، و نحو ذلك ، أو عدم اتصال السند كالرواية المرسلة أو المنقطعة ، و وفق هذه القاعدة جوّز بعض الفقهاء العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب – مع التنبيه على ضعف الحديث - .

وبناء على ذلك إذا كانت الرواية التاريخية لا تتعلق بإثبات أمر شرعي أو نفيه سواء كان لذلك صلة بالأشخاص – كالصحابة رضوان الله عليهم – أو الأحكام – كالحلال والحرام – فإن الأمر عندئذ يختلف ، فيقبل في هذا الباب من الروايات الضعيفة ما يقبل في سابقه ، فيستشهد بها ، لأنها قد تشترك مع الروايات الصحيحة في أصل الحادثة ، و ربما يُستدل بها على بعض التفصيلات و يُحاول الجمع بينها و بين الروايات الأخرى التي هي أوثق سنداً .

يقول الكافيجي – هو محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي الكافيجي ( ت 879 هـ ) له معرفة باللغة والتاريخ والتفسير وعلوم أخرى – في هذا الصدد : يجوز للمؤرخ أن يروي في تاريخه قولاً ضعيفاً في باب الترغيب و الترهيب والاعتبار مع التنبيه على ضعفه ، و لكن لا يجوز له ذلك في ذات الباري عز وجل و في صفاته ولا في الأحكام ، و هكذا جوز رواية الحديث الضعيف على ما ذكر من التفصيل المذكور . المختصر في علوم التاريخ ( ص 326 ) .

و يقول الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه دراسات تاريخية (ص 27) : أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير ، و الخطر الناجم عنه كبير ، لأن الروايات التاريخية التي دونها أسلافنا المؤرخون لم تُعامل معاملة الأحاديث ، بل تم التساهل فيها ، و إذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوّة سحيقة بيننا ، و بين ماضينا مما يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع .. لكن ذلك لا يعني التخلي عن منهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات التاريخية ، فهي وسيلتنا إلى الترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنها خير معين في قبول أو رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ أمتنا ، و لكن الإفادة منها ينبغي أن تتم بمرونة آخذين بعين الاعتبار أن الأحاديث غير الروايات التاريخية ، وأن الأولى نالت من العناية ما يمكنها من الصمود أمام قواعد النقد الصارمة .

و هذا التفريق بين ما يتشدد فيه من الأخبار و يتساهل فيه نلحظه بوضوح في تصرف الحافظ ابن حجر في جمعه بين الروايات في كتابه الفتح ، ففي الوقت الذي يقرر فيه رفض رواية محمد بن إسحاق إذا عنعن و لم يصرح بالتحديث ، و رفض رواية الواقدي ، لأنه متروك عند علماء الجرح والتعديل فضلاً عن غيرهما من الإخباريين الذي ليس لهم رواية في كتب السنة من أمثال عوانة والمدائني ، فإنه يستشهد برواياتهم ، و يستدل بها على بعض التفصيلات ، و يحاول الجمع بينها و بين الروايات الأخرى التي هي أوثق إسناداً .

و هذا يدل على قبوله لأخبارهم فيما تخصصوا فيه من العناية بالسير والأخبار ، و هو منهج معتبر عند العلماء المحققين وإن لم يقبلوا روايتهم في الأحكام الشرعية ، فنجد ابن حجر يقول في محمد بن إسحاق : إمام في المغازي صدوق يدلس .طبقات المدلسين (ص 51 ) . و يقول عن الواقدي : متروك مع سعة علمه . التقريب (2/194) . و يقول في سيف بن عمر : ضعيف في الحديث ، عمد في التاريخ . التقريب (1/344) .

هذا مختصر ما يمكن أن يقال في الحكم على الروايات التاريخية والفرق بينها وبين رواية الحديث .

**القواعد التي تتبع في قبول أو رد الروايات التاريخية ..**
**القاعدة الأولى : اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .**لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من أخبار ، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي ، ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بنفس المقدار الموجود في المصادر التاريخية ، إلا أنها لها أهميتها لعدة اعتبارات منها :-
1 – أن معظم مؤلفيها عاشوا في فترة مبكرة ، وأغلبهم من رجالات القرن الثاني والثالث الهجري ، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة .

2 – ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل ، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين .

**القاعدة الثانية : الفهم الصحيح للإيمان ، و دوره في تفسير الأحداث .**إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يلعبه الإيمان في حياة المسلمين ، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي .

**القاعدة الثالثة : أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين .**إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي ، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية ، وفي تفسير حوادثه والحكم عليها .

وإن معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام وتزكية أرواحهم ، والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة ، يجعل من البديهي التسليم بأن الدافع لهم في تصرفاتهم وسلوكهم لم يكن دافعاً دنيوياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً .

ولأجل ذلك يجب استعمال الأسلوب النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية ، وعدم التسليم بكل ما تطرحه من أخبار ، فتوضع الوجهة العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته وخصوصيته في الحسبان ، وينظر إلى تعصب الراوي أو الإخباري أو المؤرخ من عدمه ، فمن لاحت عليه أمارات التعصب والتحيز بطعن أو لمز في أهل العدالة والثقة من الصحابة ، أو مخالفة لأمر معلوم من الشريعة أو عند الناس ، أو معاكسة طبيعة المجتمع وأعرافه وقيمه الثابتة ، ففي هذه الأحوال لا يؤخذ منه ولا يؤبه بأخباره ؛ لأن التحيز والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة التاريخية .

**القاعدة الرابعة : العوامل المؤثرة في حركة التاريخ .**إن المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ منهج شامل لكل الدوافع والقيم التي تصنع التاريخ ، غير واقف أما حدود الواقع المادي المحدود الظاهر للعيان فقط ، بل إنه يتيح فرصة لرؤية بعيدة يستطيع المؤرخ معها أن يقدم تقييماً حقيقياً وشاملاً أكثر التحاماً مع الواقع لأحداث التاريخ الإنساني ، وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي وبقية المناهج الأخرى الوضعية التي تفسر التاريخ تفسيراً عرقياً أو جغرافياً أو اقتصادياً .

**القاعدة الخامسة : العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم .**قال ابن تيمية رحمه الله : إن الحكم على أي طائفة أو قوم ، يقوم على أصلين ، أحدهما : المعرفة بحالهم ، و الثاني : معرفة حكم الله في أمثالهم . مجموع الفتاوى (28/510 ) .

وهذان الأصلان يقومان على العلم المنافي للجهل ، والعدل المنافي للظلم ؛ إذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة .

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فالمعرفة بحالهم تدل على كمال إيمانهم ، وصدقهم وحسن سريرتهم ، إذ توافرت النصوص الشرعية في تزكيتهم وتعديلهم .

وبناء على هذا لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة لمعرفة الحقيقة ، فلا يؤخذ من الكذابين والفاسقين وأصحاب الأهواء ؛ لأن فسقهم وهواهم يدفعهم إلى تصوير الأمر على خلاف حقيقته .

**وهنا مجموعة من المقاييس ينبغي الأخذ بها في هذا الشأن ، و هي :-**1 – عدم إقحام الحكم على عقائد ومواقف الرجال بغير دليل في ثنايا سرد الأعمال ، إذ أن الحكم على أقدار الناس يجب أن يكون قائماً على حسن الظن حتى يثبت خلاف ذلك .

2 – عدم تجاوز النقل الثابت إلى إيراد الظنون والفرضيات ، فهذا من فضل الدين أن حجزنا عنه ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الذنوب ، وإنما حسن الأدب هو رده وتنقية سيرة الصدر الأول منه ، كما أن حسن الأدب يقتضي السكوت عن الظنون والكف عن اقتفاء مالا علم لنا به يقيناً ، وكثيراً ما تلحّ على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، وقد أمرنا الشرع أن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا ، ففي الآية { إلا من شهد بالحلق وهم يعلمون } ، فكيف بمن يشهد بالظن والهوى فيمن أدبر من القرون ؟؟!

3 – إن الإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط وعدم مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة ، ويأمر باتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر والتثبت فيه لئلا يصاب قوم بجهالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون ؟؟!

**القاعدة السادسة : الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف .**الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في منهاج السنة ( 4/337 ) : والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع .

ويدخل ضمن هذه القاعدة ، العدل في وصف الآخرين ، والمقصود به هو العدل في ذكر المساوئ والمحاسن والموازنة بينهما .

فمن المعلوم أن أحداً لا يسلم من الخطأ لقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في المسند (3/198 ) : كل بني آدم خطّاء . ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوئ ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوئ لوجود عداوة أو شحناء بينه وبين من يصفه ، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله بقوله { ولا بخسوا الناس أشياءهم } .

وحين نجد من يذم غيره بذكر مساوئه فقط ، ويغض النظر عن محاسنه ، فإن ذلك يرجع في العادة إلى الحسد والبغضاء ، أو إلى الظنون والخلفيات والآراء المسبقة ، أو إلى التنافس المذموم ، ولكن المنصفين هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخسونه حقه ، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد أو في المذهب والانتماء .

**القاعدة السابعة : العبرة بكثرة الفضائل .**فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك ، وفي هذا الصدد يقول الحافظ الذهبي رحمه الله : وإنما العبرة بكثرة المحاسن . السير ( 20 / 46 ) .

وهذه قاعدة جليلة تعد بمثابة منهج صحيح في الحكم على الناس ، لأن كل إنسان لا يسلم من الخطأ ، لكن من قل خطؤه وكثر صوابه فهو على خير كثير ، والإنصاف يقتضي أن يغتفر للمرء الخطأ القليل في كثير صوابه .

ومنهج أهل السنة هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ والنظر إليه بعين الإنصاف ، وهناك قاعدة أخرى يمكن اعتبارها في هذا الباب وهي كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ( 8 / 412 ) : العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية .

**القاعدة الثامنة : إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد .**نحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً ، إلا أن يكون نبياً أو رسولاً ، ومن هنا يجب أن نعلم أن الذين صنعوا التاريخ رجال من البشر ، يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان ، وإن كانوا من كبار الصحابة وأجلائهم ، إلا أنه ينبغي إحالة الحوادث إلى الخطأ في الاجتهاد .

**القاعدة التاسعة : الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء .**يلزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه ، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث ، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب .

**القاعدة العاشرة : الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجيح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة .**ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات ، فهو الوسيلة المثلى للترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنه خير معين على رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام .

وعلى هذا الأساس يتم اعتماد الروايات الصحيحة ثم الحسنة لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً ، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى ، فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة ، على شرط أن تتماشى مع روح المجتمع الإسلامي ، ولا تناقض جانباً عقدياً أو شرعياً ، لأن القاعدة : التشدد فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، كما قال الدكتور أكرم ضياء العمري في المجتمع المدني ( ص 25 ) .

ومن ناحية ثانية إذا كان أهل الحديث يتساهلون في الرواية عن الضعفاء إن كانت رواياتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة : فلا بأس إذاً من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ ، وجعله معياراً ومقياساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها .

ومن هذا المنطلق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف بن عمر والواقدي وأبي مخنف .. وغيرهم ، فما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناه بالقبول ، وما خالفها تركناه ونبذناه .

القاعدة الحادية عشر : الرجوع إلى كتب السنة كمصدر مهم لأخبار صدر الإسلام .

إن من المفيد جداً في كتابة التاريخ الإسلامي الرجوع إلى كتب السنة كمصدر موثوق وراجح لأخبار الصدر الأول ، لوجود روايات تاريخية كثيرة فيها على درجة عالية من الصحة ، ونظراً لأن كتب الحديث خُدمت أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد .

وتتضاعف كمية هذه الأخبار الموثوقة بالرجوع إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات ومعاجم الصحابة وكتب الفضائل والطبقات والتواريخ التي صنفها المحدثون ، وكتابات العلماء الذين كانت لهم عناية بشرح كتب الحديث ، وذلك أن ثقافتهم الحديثية الممحصة واقتباساتهم من كتب التاريخ المفقودة التي دونها المحدثون الأولون جعلت شروحهم غنية بنصوص تاريخية .

فعلى سبيل المثال يعتبر كتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر رحمه الله مثلاً واضحاً لهذه الكتب وهؤلاء العلماء ، إذ يشمل من الفوائد التاريخية كمية لا يستهان بها كما هو كتاب حديث .

**القاعدة الثانية عشر : معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق .**اعتنى أهل السنة بضبط مذهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم ومواقفهم ويكون المسلم على بينة منها ، فلا يخدع من قبلهم ، ولأجل هذا لابد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم ، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي وأوردوها بما لديه من خلفية عن اتجاهاتهم وآرائهم ومواقفهم ، ثم يقارنها بغيرها من الآراء التي عند المؤرخين أو العلماء العدول الثقات .

وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه ، فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال ، أما من لا يلحظ عليه التعصب – وإن كان من أهل البدع – وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط تقبل روايته .

**القاعدة الثالثة عشر : معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين .**إذا كان للتاريخ الإسلامي قواعد وأصول وضوابط شرعية يجب على المؤرخ المسلم أن يلتزم بها ، فذلك يعني الاحتياط عند الأخذ من كتب غير المسلمين ، خصوصاً وأن الحرية بلا قيود وبلا ضوابط تلقاها العلمانيون في الغرب أو الشرق ، وطبقوها على التاريخ الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمبادئ ، مما جعل نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية ، وواقع المجتمع الإسلامي ، لهذا فإن القضايا التي تطرحها كتب غير المسلمين من يهود ونصارى وغيرهم ، والتي تعالج التاريخ الإسلامي – خصوصاً الصدر الإسلامي الأول – ينبغي أن تدرس بعناية وحذر شديدين ، لأنهم لا يصدقون في كثير مما يقولونه عن الإسلام ونظمه ورجاله ، ولا يحل وفق ذلك لمسلم أن يروي عنهم أو يأخذ منهم ، لا سيما وأن من شروط البحث في هذه القضايا عرض الأقوال والأعمال على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم إذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم الضعيف الضبط ، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة ‍! ويضمر من الحقد والبغضاء لهذا الدين مالا يعلمه إلى الله .

**القاعدة الرابعة عشر : مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة .**ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الأحداث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأية ظروف يعيش فيها أصحاب تلك الأحداث ، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية ، وبالتالي تكون نظرة الحاكم إلى هذه الوقائع غير مطابقة للواقع .

ومن الملاحظ أن الخلط بين الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر ، وبين واقع المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام يرجع إلى الخطأ في الفهم الناتج في الغالب عن الصورة القاتمة والمغرضة التي يتلقاها النشء عن تاريخ الإسلام وحضارته بواسطة المناهج المحرفة التي تعمم الأحكام وتشوه بذلك التاريخ .

ولاشك أن مصدر الخطأ في هذه المنهاج هو تدخل أصحابه بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية وفق مقتضيات وأحوال عصرهم الذي يعيشون فيه ، دون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة ، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت ، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها ، أو بعبارة أخرى إن مصدر الخطأ في منهجهم هو تطبيق واقع العصر الحاضر ومفاهيمه على العصور السابقة ، مع أن لكل عصر مميزاته الواضحة التي تسمى في منهج البحث العلمي ( روح العصر ) .

**القاعدة الخامسة عشر : استعمال المصطلحات الإسلامية .**تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب ، لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار ، ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية فإنه منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والصليبية تدمير الخلافة الإسلامية ، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم .

فقد كان من تأثير الغزو الثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية .

على أن هذا المنزلق يتمثل في عدم وعي الباحثين المعاصرين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة للفكر الغربي .. فالمثقفون في العالم الإسلامي كانوا إلى مشارف الخمسينيات لا يدركون أن المصطلح جزء لا يتجزأ من التركيبة أو البنية الحضارية لأي مجتمع ، و كانوا في حالة الدفاع عن الذات ، يحاولون أن يوجدوا لكل عنوان برّاق في المدنية الغربية مثيله في الإسلام .

ولنذكر على سبيل المثال مصطلح : اليمين و اليسار و الاشتراكية و الديمقراطية و الرأسمالية .. الخ ، و رغم أن هذه المصطلحات لعبة صهيونية ، إلا أن بعض الباحثين مع الأسف وظفوها بصورة آلية ، حتى أن بعضهم ألفوا كتباً يصنفون فيها الصحابة رضي الله عنهم إلى يمين و يسار و اشتراكي و رأسمالي . فيجب الحذر من التقليد الأعمى ، و في ذلك يكمن خطر الذوبان في الفكر الجاهلي الغربي ، والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتنا المستقلة ، و ينبغي استعمال المصطلحات الإسلامية ؛ لأنها ذات دلالة واضحة و محددة ، ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم أما بعد :-

إن دراسة التاريخ بحاجة إلى منهجية في معرفة الضوابط .. وهذه الضوابط لا تتأتى من فراغ .. بل بالممارسة والتجربة والتحليل والنقد ..

ولعل هذه الدراسات – التي سأذكرها بعد قليل – قد حاولت الالتزام بالمنهج الصحيح في نقد بعض النصوص التاريخية وتأصيل المنهج الإسلامي للتفسير التاريخي ، ذلك المنهج الذي يعتمد التصور الإسلامي للتاريخ ، ويفيد من منهج المحدثين في التعامل مع الرواية التاريخية ..

ولعلها أيضاً بما قدمته من حقائق تاريخية مستندة إلى هذا المنهج أن تكون لبنة من لبنات الجهود الجادة في بناء علم إسلامي قائم على تجربة تاريخية صحيحة وموثقة ..

عدد من الكتب القيمة و المفيدة في هذا الباب والتي تعين على معرفة المناهج و الأصول والضوابط لقراءة وكتابة التاريخ الإسلامي ، والتي أنصح باقتنائها ..

1 – منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، للدكتور محمد بن صامل السلمي .
2 – منهج دراسة التاريخ الإسلامي ، للدكتور محمد أمحزون .
3 – كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، للأستاذ محمد قطب .
4 – فقه التاريخ ، للأستاذ عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني .
5 – في أصول تاريخ العرب الإسلامي ، للأستاذ محمد محمد حسن شُرّاب .
6 – التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف ، للدكتور عمر سليمان الأشقر .
7 – نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية ، للدكتور سليمان بن حمد العودة .
8 – قضايا ومباحث في السيرة النبوية ، للدكتور سليمان بن حمد العودة .
9 – المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، للدكتور محمد رشاد خليل .
10 – نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ، نظرات و تصويبات ، للدكتور عبد العظيم محمود الديب .
11 – تاريخنا من يكتبه ؟ للدكتور عبد الرحمن علي الحجي .
12 – حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، للدكتور عماد الدين خليل .
13 – قضايا كتابة التاريخ الإسلامي وحلولها ، للدكتور محمد ياسين مظهر الصديقي .
14 – منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف ؟ ، للدكتور جمال عبد الهادي و الدكتورة وفاء محمد .
15 – دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره ، من عهد بين أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر ( 40 – 922هـ / 661 – 1516م ) ، للدكتور محمد ماهر حمادة .
16- المدخل إلى علم التاريخ ، للدكتور : محمد بن صامل السلمي .